



www.
www.
www.
www.

Ghaemiyeh

.com
.org
.net
.ir



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ
عَزَّوَجَلَّ عَلَى رُزْنَةِ الْمَدِيْنَةِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بَيْتُ
الْعَبْدِ الْمُكَفَّرِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

حرکه التاريخ و سنه علی و فاطمه علیهم السلام

كاتب:

نبیل قدوری الحسنی

نشرت فی الطباعة:

العتبه الحسينيه المقدسه

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٩	حركه التاريخ وسننه عند على وفاطمه عليهما السلام
٩	اشاره
٩	اشاره
١٥	الإهداء
١٧	مقدمه الكتاب
١٩	الفصل الأول: حركه التاريخ عند العرب قبل الإسلام
١٩	اشاره
٢١	المبحث الأول: معنى التاريخ والخبر
٢١	المسئله الأولى: المعنى اللغوى للتاريخ
٢٢	المسئله الثانية: معنى الخبر ومتى استعمل؟
٢٤	المبحث الثاني: علوم التاريخ وموضوعه
٢٤	المسئله الأولى: علوم التاريخ
٢٤	اشاره
٢٤	المفهوم الأول
٢٥	المفهوم الثاني: التاريخ العلمي
٢٦	المفهوم الثالث: فلسفه التاريخ
٢٦	المسئله الثانية: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضي الحاضر»
٢٨	المسئله الثالثه: علم التاريخ عند العرب
٣١	الفصل الثاني: دور القرآن في حركه التاريخ وسننه
٣١	اشاره
٣٣	المبحث الأول: نظره القرآن إلى الماضي
٣٥	المبحث الثاني: عالميه التاريخ في القرآن الكريم
٤٠	المبحث الثالث: نظره القرآن للسنن التاريخيه

٤٠	المسألة الأولى: حقيقة سريان السنن التاريخية في الأدب
٤٣	المسألة الثانية: تحقق الغرض الإرشادي في عرض السنن التاريخية
٤٥	المسألة الثالثة: علّه تأخير العقوبة الجماعية
٤٧	المسألة الرابعة: سنه التغيير النفسي وارتباطها بتغيير المجتمع
٤٨	المسألة الخامسة: آثار سنه الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة
٥١	الفصل الثالث: حركة التاريخ وسنته عند رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم
٥١	اشاره
٥٦	المبحث الأول: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم
٥٨	المبحث الثاني: السنن التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وأله وسلم
٦٣	الفصل الرابع: حركة التاريخ وسنته عند الإمام على عليه السلام
٦٣	اشاره
٦٥	المبحث الأول: حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام
٦٧	المبحث الثاني: السنن التاريخية عند الإمام على عليه السلام
٦٧	اشاره
٦٧	المسألة الأولى: الإحاطة التامة بالسنن التاريخية
٧٠	المسألة الثانية: تحديد العامل المشترك في السنن التاريخية
٧١	المسألة الثالثة: تشخيص نتائج السنن
٧٦	المسألة الرابعة: بيان الدور الإرشادي في السنن التاريخية
٧٦	اشاره
٧٦	المحور الأول: المحور الإرشادي العام
٧٩	المحور الثاني: المحور الإرشادي الخاص
٨١	الفصل الخامس: حركة التاريخ وسنته عند فاطمه الزهراء عليها السلام وأثر ذلك على الوعي التاريخي وتدوينه
٨١	اشاره
٨٤	المبحث الأول: حركة التاريخ عند فاطمه الزهراء عليها السلام
٨٤	المسألة الأولى: تشخيصها عليها السلام لبدء حركة التاريخ
٨٧	المسألة الثانية: تحديد حركة تاريخ النبوة

٨٩	المسألة الثالثة: وقائع الحركة التاريخية للأمية
٩٢	المسألة الرابعة: حركة تاريخ العرب قبل الإسلام في نظر سيد النساء عليها السلام
٩٦	المسألة الخامسة: بيان إنجازات النبوة في حركتها التاريخية
٩٦	· اشاره
٩٦	المحور الأول
٩٧	المحور الثاني
٩٨	المحور الثالث
٩٩	المسألة السادسة: حركة تاريخ الصحابة وأهل البيت عليهم السلام في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
٩٩	· اشاره
٩٩	أولاً: دلالة تحديد الحركة التاريخية لكلا المسارين
١٠٠	ثانياً: تباين المسارين في الحركة التاريخية
١٠٦	المسألة السابعة: الحركة التاريخية للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
١٠٨	المسألة الثامنة: الواقع التاريخي الذي كانت مقدمات للسنن الأممية
١٠٨	· اشاره
١٠٩	الواقع التاريخي الأول: «حسكة النفاق، أو حسيكه النفاق»
١١٠	الواقع التاريخي الثاني: «سمل جلباب الدين»
١١٢	الواقع التاريخي الثالث: «نطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين»
١١٦	المبحث الثاني: السنن التاريخية عند فاطمة الزهراء عليها السلام
١١٦	· اشاره
١١٦	المسألة الأولى: سنن الواقع في الفتنة بين المقدمات والنتائج
١١٨	المسألة الثانية: سنن تضاعف النتائج
١٢٢	المسألة الثالثة: سنن تعجيل العذاب
١٢٣	المسألة الرابعة: سنن انقلاب الأمم بعد أنبيائها
١٢٧	المسألة الخامسة: سنن ظلم آل الأنبياء عليهم السلام وأثارها على الأمة
١٣٣	المسألة السادسة: سنن رين القلوب بين الأسباب والنتائج
١٣٥	المسألة السابعة: سنن الاستقامه في السلوك

المسئلہ الثامنہ: سنہ ترک التمسک بآحكام اللہ } بین المقدمات والنتائج ..

١٤٠ نتیجہ البحث ..

١٤٣ تعریف مرکز ..

حرکه التاريخ وسننه عند علی وفاطمه علیهمما السلام

اشاره

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق وزارة الثقافة ١٠٨٢

لسنه ٢٠٠٩ م

الحسني، نبيل، ١٩٦٥ - م.

حرکه التاريخ وسننه عند علی وفاطمه علیهمما السلام / تأليف نبيل الحسني. - کربلاء: العتبه الحسينيه المقدسه، ١٤٣٠ق. =
٢٠٠٩م.

ص ١٦٠. - (قسم الشؤون الفكريه والثقافيه في العتبه الحسينيه المقدسه؛ ٣٦).

المصادر: ص. ١٥١ - ١٥٥؛ وكذلك في الحاشية.

١. التاريخ (كلام) وعلى بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجره - ٤٠ ق. - دراسه وتحقيق. ٢. التاريخ (كلام) وفاطمه الزهراء (س)، ٨ قبل الهجره - ١١ ق. - دراسه وتحقيق. ٣. التاريخ (كلام) - من ناحيه القرآنيه . ٤. فاطمه الزهراء (س)، ٨ قبل الهجره - ١١ ق. - خطب - نقد وتفسير. ألف. عنوان.

BP ٣٨ / ٠٩ / ٢٥

تمت الفهرسه في مكتبه العتبه الحسينيه المقدسه قبل النشر

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

حركة التاريخ وستنه

عند على وفاطمه عليهما السلام

تأليف

السيد نبيل الحسني

إصدار

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه

في العتبه الحسينيه المقدسه

شعبه الدراسات و البحوث الاسلاميه

جميع الحقوق محفوظه

للعتبه الحسينيه المقدسه

الطبعه الأولى

م١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩

العراق: كربلاء المقدسه - العتبه الحسينيه المقدسه

قسم الشؤون الفكريه والثقافيه - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعِزَّةِ الْمَيِّنَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْأَلُ (٥) اهْدِنَا الصَّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

الإهداء

إلى روح النبي الأعظم صلى الله عليه وآلـه وسلم وقلبه ومهجنته فاطمه عليها السلام.

إلى بضعته ونور عينه.

إلى من أزالت البهم عن سنن الأولين.

وكشفت عن حركه تاريخ الآخرين.

إلى من شخصت المضللين ودللت على الغاوين وأشارت إلى المبطلين.

إلى من أوضحت الطريق للسالكين وأنارت السبيل للقادمين.

إلى من كافحت وجاهدت ودافعت عن شريعة سيد المرسلين.

فمضت شهيدة لرب العالمين.

أهدى كتابي هذا...

مقدمة الكتاب

«الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسدتها، وتمام منن والها جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أ美的ها وتفاوت عن الإدراك أبداها»^(١).

والصلاه والسلام على خير الأنام وكاشف الظلام وعلى آله الهداء إلى الإسلام وسلم تسلیماً كثیراً.

وبعد:

فإن من عوامل رقى الأمة ودوام نهضتها ونشر حضارتها هو الإحاطة بحركه تاريخها والتسلط على كوامن أخبارها والتأمل بحوادث أسلافها والتوقف عند أفعالها وفهم أحوالها وإدراك معانى أقوالها ودراسه سلوكياتها.

كما أن بناء الأمة لا يقوم إلا بمنهج الاعتبار من سنن تاريخها وتجنب الواقع في فخاخ فتنها والاقتداء بأخيارها وتشخيص فجارها ونبذ سلوك أشرارها.

عند ذلك سيكتب لها البقاء وسيعم على أجيالها الرخاء ويقيهم كيد الأعداء؛ بل إن ذلك سيجعل للحضاره دلالة على التحضر وطريقاً إلى التمدن.

١- هذا ما ابتدأت به بضعه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خطبتها الاحتجاجيه التي ألقتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجمع من المهاجرين والأنصار.

وما ينال ذلك إلا بالسفر إلى معين المعرفة، ومنهل العلوم المختلفة، وموارد الظمان لمعرفة مكامن الحكمه والتجلب بجلباب العزه، وهما القرآن والعتره.

فإليهما شددنا الرحال وفي باحه عزهما ألقينا عن ظهورنا أنقال الجهل وفككنا أزرار مدارك الفهم صامتين مستمعين متأملين ومفكرين وللمزيد من فضلهم ملتمسين ((وَنَزَّلْدُّ أَكَيْلَ بَعِيرٍ))^(١)، فما خاب ظتنا ولا أخطأنا في وجهتنا بل قادنا اليقين وأخذ بجزتنا العقل والقلب والدين؛ فمن شأن الكريم الإعاده ومن شيمه الجود البذل والزياده.

فمنّا علينا بهذه المباحث، ولاسيما بضعيه الهدى الأمين وسيده نساء العالمين فاطمه وحسبي بها كرماً وهي أم رحمه الله للعالمين.

ناهيكم عن جود ابن عمها وباب مدینه علم أيها على أمير المؤمنين عليه السلام فقد أغرقنا بفضله ومن علينا بلطفه كما من سليمان على شيعته إذ قال له ربه:

((هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ))^(٢).

فمن القرآن والنبي الأكرم صلى الله عليه وآلہ وسلم كانت بدايه بحثنا وعند على وفاطمه كان مستقرنا ومستودعنا لنضع بين يدي القارئ الكريم هذا الكتاب.

السيد نبيل قدوری حسن الحسنى

يوم عيد الأضحى لسنة ١٤٢٩هـ

٢٠٠٨ / ١٢ / ٩

١- سورة يوسف، الآية: ٦٥.

٢- سورة ص، الآية: ٣٩.

الفصل الأول: حركة التاريخ عند العرب قبل الإسلام

اشاره

المبحث الأول: معنى التاريخ والخبر

المسألة الأولى: المعنى اللغوي للتاريخ

وردت لفظه (التاريخ) في كتب اللغة بمعنى: الوقت.

قال ابن دريد: «ورَّختُ الْكِتَابَ وَأَرْخَتَهُ، وَمَتَى أَرْخَ كِتَابَكَ، وَوُرَّخَ أَيْ مَتَى كَتَبَ»^(١).

وقال ابن منظور:

«التاريخ والتوريق: تعريف الوقت، أَرَخَ الْكِتَابَ لِيَوْمٍ كَذَا: وَقَتْهُ»^(٢).

وقال الجواليقي:

«إِنَّ الْلَّفْظَةَ لِيُسْتَعْرِفَ بِهِ مَحْضَهُ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَخْذُوهَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»^(٣).

وقيل: «إنها عربية. وقيل: هي أكديه وبابليه ووردت بصيغه (أرخ) (Arha) (أرخا) (Arah) وأرخو (Arhu) ورخو (Warhu) وتعني (القمر) (الهلال) (الشهر) (أول الشهر)»^(٤).

١- جمهره اللغة لابن دريد: ج ٢، ص ٢٦٦.

٢- لسان العرب لابن منظور: ماده أرخ.

٣- المعرف: باب التاء، ص ١٣٧.

٤- دراسه مصادر السيره النبويه لسامي البدرى: ص ٢١.

السؤال الثاني: معنى الخبر ومتى استعمل؟

قالوا في اللغة: «الخبر: محركه: النبأ، هكذا في المحكم. وفي التهذيب: الخبر ما أتاك من نبأ عنمن تستخبر، وظاهره بل صريحة انهم مترادفان.

وقالوا: «الخبر عرفاً ولغة ما ينقل عن الآخرين، وزاد فيه أهل العربية: واحتمل الصدق والكذب لذاته»^(١). وقد استعمله أهل علم الحديث بمعنى: «الحديث، والحديث: ما عن النبي صلى الله عليه وآلها وسلم. والخبر: ما عن غيره وقال جماعه من أهل الاصطلاح: الخبر أعم، والأثر هو الذي يعبر به عن غير الحديث»^(٢).

وقالوا: «إنّ الكلمة (خبر) التي استعملها العرب في صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها في اللغات السامية قصه طويلة، منها معنى: الرابط والتقييد؛ وفيها من خلال الكلمة خبر، معنى: البحث والفحص، ومعنى الأخبار أيضاً. وقد تأخرت الكلمة تاريخاً حتى ظهرت وفشت على الأقلام الإسلامية؛ ولئن اضطربت تفاسير اللغويين لأصل هذه الكلمة وشكوا في عروبتها حتى أعطوها أصلاً فارسياً: (ماه روز) قالوا إنها حرفت عنه، والأرجح أن جذورها (ورخ) هو جذر سامي ولكنها مأخوذة من لغة اليمن الجنوبي، وليس عن الكلمة «يرج» أو «ياريج» العربية، أو السريانية، كما وردت في الموسوعة الإسلامية، ومعناها الأول هناك هو القمر أو الشهر»^(٣).

«وإذا كانت الكلمة تاريخ، تحمل في العربية منذ زمن بعيد خمسه من المعانى على الأقل هى:

١- تاج العروس، الزبيدي: ج ٦، ص ٣٢٥.

٢- المصدر السابق.

٣- التاريخ العربي والمؤرخون، شاكر مصطفى: ج ١، ص ٤٩ - ٥٠.

١. سير الزمن والأحداث أى التطور التاريخي، تقابل كلمه (The History of ...) وتعنى ما يفهم من كلمه التاريخ الإسلامي أو تاريخ إيطاليا.

٢. تاريخ الرجال أو ما يقابل (The Biography).

٣. عملية التدوين التاريخي، أو التاريخ ووصف التطور وتحليله، وهى التى تقابل كلمه (Historiography).

٤. علم التاريخ والمعرفه به، وكتب التاريخ وما فيها، وهو ما يقابل كلمه (The History) المفرده (١).

٥ تحديد زمن الواقعه أو الحادث باليوم والشهر والسنه (The date).

إذا كان ذلك، فقد مرت هذه الكلمه بأطوار عده، قبل أن تستقى فيها تلك المعانى، وتحملها فى الإسلام. ولذا فقد وضعوا أى المختصون للتاريخ تعاريف مختلفه ومتعدده، ونظروا له من زوايا مختلفه أيضاً، فهناك التصورات العامه للتاريخ، وهناك التصورات الدينية (كالزرادشية، واليهودية، والإسلام، والمسيحية)، وهناك المعالجات المثاليه للتاريخ والتى نشأت فى القرن التاسع عشر وما بعده.. إلى غير ذلك.

لكننا نستخلص من جميع المعالجات والدراسات التى تناولت (التاريخ) بأننا نستطيع أن نضع للتاريخ ثلاثة تعاريف (٢) وكل واحد منها يمثل جزءاً أو علماً من علوم التاريخ، وبين هذه العلوم تقوم علاقات وثيقه» (٣).

١- قال الدورى: يمكن أن نضيف معنى سادساً استمر فتره حسنه خلال التاريخ الإسلامي، وكانت كلمه تاريخ تستعمل فيها بمعنى تراث القوم، وتمثيل الشمائل الأساسية فيهم وكانوا يقولون: فلان تاريخ قومه. (نشأة علم التاريخ، عبد العزيز الدورى: ص ١٣).

٢- وردت هكذا في المصدر وال الصحيح تعريفات.

٣- التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٤٩ ٥١.

المبحث الثاني: علوم التاريخ وموضوعه

المسئلة الأولى: علوم التاريخ

اشاره

يمكن لنا الإحاطه بعلوم التاريخ من خلال التعرف على أقوال المختصين في وضعهم بعض التعريفات المنبثقه من مفاهيم ثلاثة للتاريخ، وقد أشارت إحدى الدراسات التاريخيه إلى تعريف التاريخ حسب هذه المفاهيم بقولها:

المفهوم الأول

«التاريخ هو العلم بالأحداث، والواقع، والأوضاع، وأحوال البشر الكائنه في زمن الماضي، هذه الواقع والأحداث والأوضاع التي هي في الواقع أحاديث يوميه صارت جزءاً من التاريخ لمرور الزمن عليها.

التاريخ بهذا المفهوم، هو العلم بالأحداث، والأوضاع الماضيه، وأحوال الماضي، والكتابه والتأليف في مثل هذا النوع من التاريخ مشهور بين جميع الشعوب والأمم»^(١).

وعلى ضوء هذا المفهوم يجمع التاريخ الاختصاصات الآتية:

- ١ . الحوليات، وهي تاريخ الحوادث سنه بسنها وسردها كتاريخ الطبرى.
- ٢ . تاريخ الطبقات تبعاً للمذهب أو الاتجاه مثل طبقات الشافعيه أو طبقات الحنابله... .
- ٣ . تاريخ الحكماء ويشمل تاريخ العلماء والأدباء وال فلاسفه والأطباء، والمفسرين... .

١- النظريه القرآنيه لتفسير حر كه التاريخ لحسن سلمان: ص ٢١.

- ٤ . تاريخ المصنفات التي تورخ للتراث ابتداءً من المؤلفات نفسها، من مثل كتاب الفهرست لابن النديم.
- ٥ . تاريخ العلوم: وفيه يتم تصنيف العلوم وذكر أهم موضوعات العلم ومصنفاته، مثل كتاب (مفاتيح العلوم للسكاكى).
- ٦ . تاريخ المصطلحات العلمية التي ترصد أهم الألفاظ والمصطلحات المستعملة في التراث القديم كله بجميع علومه مثل (التعريفات للجرجاني).
- ٧ . تاريخ الحضارات والأمم: ويتم فيه رصد أعلام كل أمم وأسماء مؤلفيها وطبعائها وأمزجتها وإبداعاتها وآثارها وإسهاماتها في التاريخ البشري من مثل كتاب (طبقات الأمم لصاعد الأندلسي) [\(١\)](#).

المفهوم الثاني: التاريخ العلمي

«وهو العلم بالقواعد والقوانين والسنن المهيمنة على الحياة الماضية، وهذا يأتي من دراسه الأحداث والواقع الماضيه وتحليلها، وتشكل مسائل (التاريخ النقلی) المواد الأوليـه لهذا العلم.

هذا الجانب من التاريخ العلمي وإن كانت مواده الأوليـه ترتبط بالماضـيـه، لكنه يستهدف اكتشاف القواعد والقوانين التي يمكن تعميمها على الحاضـر والمستقبل.

وهذا الهدف يجعل التاريخ مقيداً جداً، ويجعل منه مصدراً من مصادر المعرفـه الإنسـانـيه» [\(٢\)](#).

- ١- النظريـه القرآنـيه لـتـفسـير حـركـه التـارـيخ لـحسـن سـلمـان: ص ٢٢ - ٢٥.
- ٢- النظريـه القرآنـيه لـتـفسـير حـركـه التـارـيخ: ص ٣٠.

المفهوم الثالث: فلسفة التاريخ

إن التاريخ العلمي يرتبط بنوع آخر من التعريفات التي وضعت في مجال تفسير الحركة التاريخية، وكثيراً ما يحدث تداخل بين الاثنين.

ذلك هو ما يطلق عليه (فلسفة التاريخ).

إن «الفيلسوف» لا «المؤرخ» هو الذي «يجعل فلسفة التاريخ» موضوع تحدياته.

ومع ذلك، فالفيلسوف يلتزم ويعتمد على ما يقوله، وما يقدمه «المؤرخ» عن التاريخ كشيء ملموس كما يلتزم به كروايته أو حدث اجتماعي^(١).

المأساة الثانية: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضي الحاضر»

المأساة الثانية: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضي الحاضر»^(٢)

يدور مدار التاريخ حول الحادثة التي وقعت في الماضي، ولأن هذه الحادثة موضوع اهتمام الإنسان سواء أكان هدفه منها الرواية والنقل لأبناء زمانه والأجيال اللاحقة أم الاعتبار والتحليل والتأسيس لحياة أفضل تتجنب عوامل السقوط والانهيار.

ولذا، قالوا: «إن التاريخ هو الماضي الحاضر، أي: أن مجموعة عوارض الماضي حاضرها بأخبارها (آثارها) وفحص تلك الأخبار عمليه تنجز دائماً في الحاضر، والتاريخ حاضر بمعنىين:

أولاًً: بشواهدده، وثانياً: في ذهن المؤرخ»^(٣).

١- النظريه القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص ٣٥.

٢- مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص ٣٨.

٣- المصدر السابق.

أى: من خلال الشاهد التاريخي تكُون في ذهن المؤرخ تاريخ متجدد، ولذا فهو حاضر معه فأصبح يدور بين مقارنه الماضي بالحاضر والحاضر بالماضي.

من هنا:

كانت معرفه الماضي نسبية وعملية، فهى نسبية لأنها تستجيب لمتطلبات الوضع القائم؛ وهى عملية لأنها تجيب عن أسئله حاله. ومنهما أى من المعرفه النسبية والعملية كان موضوع التاريخ هو: «التاريخ هو الماضي الحاضر».

في حين ذهب البعض إلى ان مقوله «التاريخ هو الماضي الحاضر». تعنى: «أن الماضي التاريخي هو عالم ذهني، يستنبط فى كل لحظه من الآثار القائمه.

أو بعباره أخرى: موضوع التاريخ هو الماضي الذى هو حاضر، المقصود هنا ليس تمام الماضي، وإنما الماضي التاريخي، أو ما سميـناه بالتاريخ المحفوظ؛ فهل يمكن أن يكون غير حاضر في الذهن، في الكلام، في الأشياء... الخ»^(١).

يـتـجـعـ عـنـ هـذـاـ التـحـلـيلـ: «أنـ الـكـلامـ عـلـىـ أحـوـالـ الـمـاضـىـ هوـ نوعـ مـنـ الـمـشـاهـدـ،ـ إـذـ لـمـ يـقـ منـ الـمـاضـىـ إـلاـ الـأـخـبـارـ الدـالـهـ عـلـيـهـ وـالـمـعاـصـرـهـ لـنـاـ؛ـ إـنـ التـارـيخـ هوـ مـجـالـ الـاسـتـبـاطـ،ـ إـذـ الـمـؤـرـخـ يـحـمـلـ فـيـ ذـهـنـهـ كـلـ الـأـخـبـارـ عـنـ الـمـاضـىـ الـمـحـفـظـ فـيـسـتـطـعـ أـنـ يـقـارـنـ بـيـنـهـاـ وـيـسـتـخـلـصـ مـنـهـاـ قـوـانـينـ وـعـبـرـ،ـ خـلـاصـهـ بـدـيـهـيـهـ قـالـ بـهـاـ جـلـ الـمـؤـرـخـينـ الـقـدـامـيـ الـذـيـنـ جـعـلـوـاـ مـدـرـسـهـ أـخـلـاقـ وـسـيـاسـهـ»^(٢).

إذن: موضوع التاريخ هو استخلاص القوانين وال عبر من أحداث و آثار الماضي، وهو بهذا يكون، أى التاريخ مدرسه الأخلاق والسياسة.

١- مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص ٣٩.

٢- المصدر السابق.

المآل الثالث: علم التاريخ عند العرب

في خضم هذه التعريفات حول التاريخ، من حيث الاصطلاح والمعنى العام، والخاص، والمفهوم، والحركة التاريخية، ما هو علم التاريخ عند العرب؟.

«يكون علم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافي العام، وصلته بعلم الحديث والأدب بصورة خاصه وثقه، وتتحقق اهتماماً خاصاً، ثم إن ظهور الإسلام، وتكوين الإمبراطوريه، والتصادم بين الآراء والتغيرات الحضاريه، وتطور الأمة وخبراتها، هذه كلّها حيوية لفهم التطورات الأولى لكتابه التاريخي.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام»^(١).

«وقد بدأت كلمة التاريخ مسیرتها أولاً بمعنى التقويم والتوقیت في صدر الإسلام الأول، وبعد أن استعملت الكلمة فتره من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الرمن.

وكان يقوم مقامها في معنى هذه العمليه التاريخيه: كلمه خبر، وأخبار، وإخباري، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمه خبر وأخذت تطلق على عمليه التدوين التاريخي، وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل متصل الزمن والموضوع للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعمليه الإخباريه.

وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثاني للهجره، فما أن أطل القرن الثالث حتى صارت كلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره، وبأخبار الرجال، وعلى الكتب التي تحوى ذلك، وحلت نهايياً محل كلمه

١- نشأ علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدورى: ص ١٣.

الخبر والإخبارى اللتين انحطت قيمتهما العلمية قبل أن تختفي من الاستعمال فى القرن الرابع [\(١\)](#).

«ولعله من الهام أن نلاحظ أن أقدم المؤلفات التى حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا ترجم بخلاف الرأى الذى ذكره روزنثال فى هذا الصدد.

فقد كتب عوانه بن الحكم الإخبارى الكوفى المتوفى سنة ١٤٧/٧٦٥ أو ٧٥٨ كتابا عنوانه: كتاب التاريخ، يتناول أحداث التاريخ الإسلامى فى القرن الأول للهجرة، وهو أول كتاب نعرفه يحمل اسم هذا العلم فى الإسلام.

ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤/٨١٩ أيضا كتاب التاريخ وكتابا بعنوان أخبار الخلفاء، وكتب فى الوقت نفسه الهيثم بن عدى المتوفى سنة ٢٠٦/٨٢١ كتاب التاريخ على السنين وكتاب تاريخ الأشراف الكبير، واستقرت من بعد ذلك التسمية وانتشرت واحتلت عناوين العشرات من الكتب فى القرن الثالث للهجرة، ويبعدو أن كتب الترجم حملت بدورها عنوان التاريخ فى تلك الفترة مع أن بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات.

وبالرغم من أن هذه التسمية الأخيرة استمرت وانتشرت إلا أن تسميه البخارى (محمد بن إسماعيل) المتوفى سنة ٢٥٦ لكتابه عن رجال الحديث باسم (التاريخ) تمثل مزجا نهائيا ما بين علم الترجم والأحداث فى علم واحد [\(٢\)](#).

١- التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٥١، ٥٢.

٢- المصدر السابق.

الفصل الثاني: دور القرآن في حركة التاريخ وسنته

اشارة

بعد أن أخذت حركة التاريخ عند العرب شكلها الذي مرّ بيته والذى هو عباره عن ذكر أحوال الماضين في الأندية المكية بأسلوب قصصي عرف باسم (الأيام)؛ يضاف إليه اهتمامهم بالأنساب وتفاخرهم بها، مع ما أفضته ثقافه أهل الجنوب والشمال على هذه الحركة للتاريخ جاء الإسلام ممثلاً بالقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد عنهم من مفاهيم حدثه وخاصه بالتاريخ وحركته ودوره وعلاقته بالإنسان والطبيعة والعقيدة، فأعطى منهاجاً جديداً لهذا العلم، ودفعاً حيوياً وفعالاً للحركة التاريخية عند العرب ولا سيما أهل مكة.

ويمكن فهم دور القرآن في حركة التاريخ وتطوره من خلال المسائل الآتية:

المبحث الأول: نظره القرآن إلى الماضي

لقد جاء القرآن «بنظره جديّه إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضي محدودة، وعاد إلى بدء الخليقة. وأكّد القرآن على أمثله التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة؛ للتأكد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها»^(١).

١- نشأ علم التاريخ للدوري: ص ١٧.

وقد تحدث القرآن الكريم كثيراً عن أساطير الأولين ولا يعني ذلك الأسطورة الخرافية ولكن ما هو مسطور مكتوب لدى الناس، أى ليس بجديد ولكنه مؤرخ معروف من قبل، وهذا يعني أن الجاهليين قد أدركونا ما في القرآن من صلة مع الفكر الديني السابق وما يملأ الجو القرآني بوضوح منه وأنه يروي قصصاً وأموراً تاريجية لها كتبها وذكرها المسطور.

كما أن القرآن استطاع أن ينتزع العرب من الإطار القبلي، ومن الجو الوثنى ولهذا استخف بالأنساب وبقصص الأيام وبمثل الجاهليه وبدلهم منها جوا ثقافيا آخر ربطهم بسلسله التاريخ الوجданى للبشرية، أى أعطاهم بعدا زمنيا جديدا قوامه التاريخ الماضي كله، من خلال سلسله الأنبياء عليهم السلام المتماديه منذ مبدأ الخلق⁽¹⁾.

ولذا:

نجد القرآن الكريم قد دعا إلى التفكير في أحداث التاريخ، «من خلال استعمال المشاهد، وتحكيم العقل معاً، لتكوين العقيدة، فدعم المدرّكات العقلية بالشواهد الحسّية، ودعا إلى استكشاف أسرار الخليقة، ومعرفة سنن الاجتماع الإنساني في التطور، وتدبر أحداث الكون.

فالقرآن يعرض صور الحياة، وأحداثها التي جرت على الأمم السابقة ويستخلص منها العبر والحكم ويحذر الناس أن يقعوا فيما وقعت فيه تلك الأمم، من طغيان مالي، أو استبداد سياسي، وتكذيب وتجحود، وعصيان وفسوق، فحاق بهم العذاب»^(٢).

- ١- التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٥٨.
 - ٢- النظريه القرآنيه لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ٥٣ و ٥٤.

المبحث الثاني: عالميّة التاريخ في القرآن الكريم

من المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم والمتعلقة بنظرته للتاريخ هو مفهوم العالميّة، وهذا يعني أنّ القرآن لم يجعل العرب كأمة محصوره ضمن حدودها الجغرافية، والتى تكون لها ماضيها المحصور في قصص الأيام وبيوتها القبلية، بل نقلهم إلى حضارات متعددة وأطلاعهم على ثقافات متنوعة.

ثم إنّه لم يكتفى بذلك بل أراد منهم أن يتصدوا لرياده المناصب المتقدمة في صياغه حضارات الأمم السابقة وتطويرها ودفعها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بموقع الشهودية وال وسيطه التي رجع إليها في التزود بعوامل الرقي والتقدم الإنساني والمجتمعي.

أ . قال تعالى:

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا))^(١).

هذه العالميّة للتاريخ التي جاء بها القرآن انعكست على نمط كثير من المسلمين وسلوكياتهم في اكتسابهم للعلوم وحركتهم العالميّة فيما بعد.

لكن الحافز والدافع لرياده هذا الموقع العالمي كان من خلال نظره القرآن لعالميّة التاريخ وربط أمّه الإسلام بجميع الحضارات السابقة.

وقد تمثلت هذه النظرة القرآنية إلى عالميّة التاريخ من خلال توالى النبوّات من آدم عليه السلام إلى الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآلـه وسلم، وعرضه لسير هذه

١- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

النبوّات من خلال منهجين أساسين ومؤثرين على النفس الإنسانية وهما؛ القصص والأمثال.

فأما القصص؛ (فإن العروض القرآنية للتاريخ وهي تحدثنا عن مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحداث والقيم التاريخية والتي قد يمتد بعضها إلى خلق آدم).

ويصل بعضها الآخر إلى عدد من التجارب التي مارسها أفراد عاديون سلباً أو إيجاباً، أو نفذها قاده وملوك وزعماء كبار يتضح ذلك بالواقع الخاص به بفرعون وقارون وذى القرنين وأصحاب الفيل مروراً بسلسلة الأنبياء الطويلة التي بعثت كل ذلك لكي تجدد الحوار الموعود، منذ عهد آدم بين السماء والأرض، وتسعى بأقوامها إلى صياغه حرّكه التاريخ بما ينسجم ومركز الإنسان في الكون.

إن القرآن يبين لنا في حشد آخر من الآيات الهدف من إبراد القصص، والعروض التاريخية، وهو الهدف نفسه الذي يمكن أن يتمحض عن أي مطالعه جديه ملتزمه لحركه التاريخ(١).

ب . وعلى الرغم من أن الغرض من القصص هو الموعظه والاعتبار ((أَقْلَمُ يَرَوْا)) ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ)).

إلا- أن الرغبه فى معرفه تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم من ذلك القصص فتحت بابا من أبواب المعرفه الدينية دخل منه التاريخ، ودخل كرديف دينى شرعى لعمليات التفسير القرآنى، وإذا كان الكثير من الإسرائييليات قد دخلت عن هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامي، كما دخله الكثير

١- النظريه القرآنية لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ٧٣

من الأخبار القبلية والأجنبية، فأهم من ذلك أن القرآن الكريم منح بذلك نظره جديدة إلى الماضي، كرسته كأساس فكري للعقيدة^(١).

(إن قصص الأنبياء عليهم السلام من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن، في الجدال مع مخالفيه، والتبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادئ الدعوه الإسلامية وأهدافها، وفي تثبيت قلب من اتبع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم).

كما أن الغاية من قصص الأنبياء عليهم السلام أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن المؤمنين برسول الله كلهم أمه واحده والله الواحد رب الجميع)^(٢).

بمعنى: إن القرآن نقل التاريخ من محله المحصور ضمن رقعة جغرافية محدودة إلى حضارات نشأت على موقع متعدد وفى أزمنه مختلف، بل كانت هذه النظرة القرآنية أوسع وأعمق من ذلك حينما نقل الإنسان خارج حدود الزمان والمكان فربطه بالكون وعواقب الأفعال وتحكم السنن.

((وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةَ اللَّهِ تَبَدِّيلًا))^(٣).

وهو ما دلت عليه الكثير من الآيات القرآنية. قال تعالى:

((إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحُكُمُ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ))^(٤).

- ١- التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٦٠.
- ٢- النظريه القرآنية لحسن سلمان: ص ٧٤، نacula عن: مع الأنبياء في القرآن عفيف عبد الفتاح: ص ٢٤.
- ٣- سوره الأحزاب، الآيه: ٦٢ و سوره الفتح، الآيه: ٢٣.
- ٤- سوره آل عمران، الآيه: ٦٢.

((تَلْكَ الْقُرْيَ نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاثِهَا))[\(١\)](#).

((فَأَفْضُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَكَبَّرُونَ))[\(٢\)](#).

((ذَلِكَ مِنْ أَنْبِاءِ الْقُرْيَ نَقْصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ))[\(٣\)](#).

((نَحْنُ نَقْصٌ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ))[\(٤\)](#).

((الَّقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ))[\(٥\)](#).

((وَكُلًا نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِاءِ الرُّسُلِ مَا نُبَثِّتُ بِهِ فُرَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحُقُّ وَمَوْعِظَهُ وَذِكْرِي لِلْمُؤْمِنِينَ))[\(٦\)](#).

أما منهج الأمثال الذى جاء به القرآن الكريم للتعبير عن نظرته العالمية للتاريخ فقد جعل منها ماده خصبه لنمو الحركة التاريخية وشموليتها العالمية منذ آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من جانب، ومن جانب آخر دفع الفكر الإنساني إلى أثر هذه الحركة العالمية للتاريخ في رسم المستقبل القريب والبعيد للأمة الإنسانية ولاسيما المسلم بصفتها ((خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ))[\(٧\)](#).

١- سورة الأعراف، الآية: ١٠١.

٢- سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

٣- سورة هود، الآية: ١٠٠.

٤- سورة يوسف، الآية: ٣.

٥- سورة يوسف، الآية: ١١١.

٦- سورة هود، الآية: ١٢٠.

٧- سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

كما أن هذا المنهج القرآني أعطى بنية جديده لحركه الإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية، من خلال تحريك البنويه العقلية ودفعها نحو التفاعل مع القنوات المعرفيه، أى ربط الإنسان بكل ما يدور من حوله كى يرسم حياه كريمه مفعمه بالخير والسلام.

يقول السيد العلامه الطباطبائي:

(تصريف الأمثال ردها وتكرارها وتحويلها من بيان إلى بيان إلى أسلوب غايه ذلك أن يوضح لهم سبيل الحق ويهدم لهم طريق الإيمان والشك)^(١).

قال تعالى:

((وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا))^(٢).

بل يظهر القرآن الكريم انحصر من لا يعتبر بهذا النهج القرآني وهم الكفار، فيتحولون من المحور العالمي إلى المحور الفردي المتوقع والمهمل من خلال تغليب الجهل على العقل وحجره وعزله عن التفكير في هذه المناهل المعرفية الممثلة بالأدلة والحجج التي خصمتها منهجه القرآن عند إيراده للأمثال.

فيعطي صوره واضحة الملامح لمستقبل هؤلاء وترديهم وانحطاطهم حينما يتولد عندهم التفور من هذه الحضارة القرآنية وهذا النهج التعليمي لاكتساب العلوم.

١- تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائي: ج ١٣، ص ٢٠٢.

٢- سورة الإسراء، الآية: ٤١.

المبحث الثالث: نظره القرآن للسنن التاريخية

المسئلة الأولى: حقيقة سرطان السنن التاريخية في الأمم

لــ تختلف العلوم التطبيقية عن الإنسانية في الوجود الحياتي، هذا الوجود الذي نشأ وتطور فيه النهوض على السنن والقوانين الخاصة بتلك العلوم سواءً أكانت رياضية، منطقية، مجرد عن الحس الوجداني كونها ماده؛ أم العلوم التي اختلجمت في مكوناتها الوجودية في الحس الوجداني الإنساني فاقتصر بقاوها ببقاء الإنسان.

والقرآن الكريم حينما يدعو العقل البشري إلى النظر والتأمل والتفكير في خلق السموات والأرض والأفاق وما تشابك في قيامها من سنن وقوانين فيزيائية ورياضية وغيرها هو في نفس الوقت يدعوه إلى النظر والتفكير في نفسه وخلقه وما ارتبط بينه وبين العالم السماويه والأرضيه بسنن وقوانين كان المؤثر الأكبر في تحريكها عمل الإنسان بشقيه الخير والشر.

بمعنى أن هذا العمل محكم بسنن كونيه قائمه في الحياة لاــ تعددى أحدا من البشر حالها حال السنن الفيزيائية والمنطقية الرياضية، وهو ما قدمه القرآن ضمن عنوان السنن التاريخية.

قال تعالى:

((قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنُنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبُهُ الْمَكَذِّبُونَ)) [\(١\)](#)

ـ سوره آل عمران، الآيه: ١٣٧.

وقال سبحانه:

((فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ)) [\(١\)](#).

وقال عز وجل:

((يُرِيدُ اللَّهُ لِتَبَيَّنَ لَكُمْ وَيَهْدِي كُمْ سُنَّةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)) [\(٢\)](#).

وقال عز شأنه:

((سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلٍ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا)) [\(٣\)](#).

وغيرها من الآيات التي أظهرت آثار السنن التاريخية في مسيرة الحياة الإنسانية.

ولقد (تبثورت الفكرة القرآنية للسنن التاريخية في عدد كبير من الآيات والمقاطع القرآنية بأشكال مختلفة وصور متعددة، وألسنة متباعدة).

ففي بعض هذه الآيات أعطيت الفكرة بشكلها وصياغتها الكلية؛ ف يأتي التعبير القرآني حول الفكرة مجملًا عامًا، وفي بعض الآيات الأخرى أعطيت الفكرة القرآنية على مستوى التطبيق على المصاديق والنماذج، وفي بعضها الآخر وقع الحث على الاستقراء والفحص الاستقرائي والتبع العلمي للشاهد التاريخي من أجل الوصول إلى القانون التاريخي) [\(٤\)](#).

١- سورة غافر، الآية: ٨٥.

٢- سورة النساء، الآية: ٢٦.

٣- سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

٤- النظريه القرآنية لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ٨٧.

فكان من بين بنود هذا القانون التاريخي في القرآن هو عاقبه سلوك التجمعات البشرية التي عبر عنها القرآن بـ(الأمة) أو (الأمم) التي كانت قبل أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والغرض في هذا العرض القرآني لعاقبه المجتمعات السابقة هو الغرض الإرشادي، بمعنى أن الأفعال الجماعية والصفات الغالبة على بعض المجتمعات كقتل الأنبياء عليهم السلام وتكميدهم كما في إسرائيل؛ واكتفاء الرجال بالرجال كما في قوم لوط والإعراض عن الدعوه وعدم الاستجابة للنذير كما في قوم نوح عليه السلام؛ ونكران الخليفة والوصي واتباع السامری كما في قوم موسى عليه السلام وغيرها من الأفعال الجماعية التي سلكتها الأمم السابقة كلها تعبّر عن سنن تاريخيه جرت في هذه الأمم فأظهرت للمسلمين وغيرهم أن عاقبه هذه الأفعال الجماعية تكون جماعية الوقع.

بمعنى أن العقاب سيقع على الجميع دون استثناء، وإن كان هناك تفاوت في صدور الأفعال من بعض الناس؛ فالساكت عن الظلم وفاعله سواء، بل أبعد من ذلك الرضا بفعل الظالم اشتراكه في الظلم، كما دلت عليه مجموعة من الآيات. قال تعالى:

((وَمِنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِأَيَّاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)) [\(١\)](#)

((وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبْتُ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ [\(٤٢\)](#) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ [\(٤٣\)](#) وَأَصْيَاحُ مَدْيَنَ وَكُذَّبَ مُوسَى فَأَمْلَأْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ)) [\(٢\)](#).

١- سورة الأنعام، الآية: ٢١.

٢- سورة الحج، الآيات: ٤٤ ٤٢.

وقال عز وجل:

((وَكَائِنٌ مِّنْ قَرِيهِ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ طَالِمَهُ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ)) [\(١\)](#).

المسألة الثانية: تحقق الغرض الإرشادي في عرض السنن التاريخية

وقد أظهر القرآن الكريم الغرض الإرشادي في إيراد السنن التاريخية التي جرت في الأمم السابقة فقال تعالى:

((وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيهِمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبْلًا)) [\(٢\)](#).

وقال عز شأنه:

((مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةً لِلَّهِ فِي الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلٍ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)) [\(٣\)](#).

وقال سبحانه:

((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجْلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)) [\(٤\)](#).

فهنا: تظاهر الآية الكريمة اشتراك الفرد مع الأمة في الأجل الواحد، في حين أن لكل فرد أجلاً خاصاً به، مما هو سبب اشتراك جميع أفراد الأمة في موت واحد ونهاية واحدة؟.

١- سورة الحج، الآية: ٤٨.

٢- سورة الكهف، الآية: ٥٥.

٣- سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

٤- سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

يجب السيد محمد باقر الصدر قدس سره: (هناك دائماً وراء الأجل المحدود المحتموم لكل إنسان بوصفه الفردي، هنا لك أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي لهؤلاء الأفراد، للأمة بوصفها مجتمعاً ينشئ ما بين أفراده العلاقات والصلات القائمة على أساس مجموعه من الأفكار والمبادئ المستنده بمجموعه من القوى والقابليات) [\(١\)](#).

بمعنى آخر: (هذا المجتمع الذي يعبر عنه القرآن بالأمة، له أجل، له موت، له حياة، له حركه كما للفرد يتحرك فيكون حيا ثم يموت، كذلك الأمة تكون حية ثم تموت، وكما أن موت الفرد يخضع لقانون معين، كذلك الأمم أيضاً لها آجالها التي تخضع لقوانين معينة) [\(٢\)](#).

وهذا الذي أراده القرآن من المسلمين بوصفه كتابهم الذي يرجعون إليه في معرفه دينهم أن يتلتفتوا إلى تلك القوانين التي خضعت لها الأمم السابقة ولم يكن لها أن تتفلت من سلطتها؛ فليس الفرد حينما يكون ضمن مجتمع معين أن يحيا أو يموت أو ينمو بمعزل عن الأمم التي ينتمي إليها.

إذ قد يظن الكثير بأنه بمنأى عن عواقب انحراف الأمم والجماعات التي يعيش معها وينتمي إليها بل: لعلنا نجد أن هذه الحاله قد أخذت مأخذها من الأمم المعاصرة، في حين يعرض القرآن الكريم حتميه إجراء هذه السنن في الأمم كافية؛ فقد يموت الإنسان قبل موته الأمة ألا أنه يفني في ماله وذراته فيكون حينها قد مات مع الأمم التي ينتمي إليها، ناهيك عن ما يحمله من الآثام التي شارك الأمة فيها.

١- سنن التاريخ في القرآن لسيد محمد باقر الصدر: ص ٥٧.

٢- النظريه القرآنية لتفسير حركه التاريخ لحسن سلمان: ص ٩٠.

المسألة الثالثة: عَلَه تأخير العقوبة الجماعية

لكن القرآن الكريم في الوقت الذي يتحدث عن تلك السنن التاريخية وما تؤول إليه عواقب الأفعال الفردية والجماعية، هو في نفس الوقت يتحدث عن سنن أخرى هي تأخير العقوبة الجماعية لحكمه خاصه، منها الرحمة والمغفرة؛ ومنها (الإصلاح) وهو الغايه المنشوده فى عرض سيره الأمم السابقة وما آلت إليه عواقب أفعالها. قال تعالى:

((وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْيُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرْآنُ أَهْلَكَنَا هُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً)).^(١)

وقال عز وجل:

((وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مِا تَرَكَ عَلَى ظَهِيرَهَا مِنْ ذَاتِهِ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَيَّمٍ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا)).^(٢)

(ففي هاتين الآيتين الكريمتين، تحدث القرآن الكريم، عن أنه لو كان الله يريد أن يؤخذ الناس بظلمهم، وبما كسبوا، لما ترك على ساحه الناس من دابه، يعني لأهلك الناس جميعا، وقد وقعت مشكله فى كيفية تصوير هذا المفهوم القرآني، حيث أن الناس ليسوا كلهم ظالمين عاده، ففيهم الأنبياء، وفيهم الأئمه، وفيهم

١- سورة الكهف، الآية: ٥٨ و ٥٩.

٢- سورة فاطر، الآية: ٤٥.

الأوصياء، هل يشمل الـهـلاـك الأنبياء والأئمـه العـدول من المؤمنـين؟ حتى أن بعض الناس استغلـ هـاتـين الآـيتـين لـإنـكارـ عـصـمهـ الأنـبيـاءـ عـلـيـهـمـ السـلامـ.

والـحـقـيقـهـ أـنـ هـاتـينـ الآـيتـينـ تـتـحدـثـ عنـ عـقـابـ دـنـيـويـ لاـ عـقـابـ أـخـرـوـيـ، فـالـآـيـهـ تـتـحدـثـ هـنـاـ عـنـ النـتـيـجـهـ الطـبـيعـيـهـ لـماـ يـكـسـبـهـ أـفـرـادـ المـجـتمـعـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ هـوـيـاتـهـمـ وـعـلـىـ اـخـتـلـافـ اـتـجـاهـاتـهـمـ، حـينـماـ وـقـعـ (ـالـتـيـهـ)ـ عـلـىـ بـنـىـ إـسـرـائـيلـ إـنـمـاـ شـمـلـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ، شـمـلـ أـطـهـرـ النـاسـ وـأـزـكـاهـمـ وـأـشـجـعـهـمـ فـىـ مـوـاجـهـهـ الـظـلـمـهـ وـالـطـوـاغـيـتـ، شـمـلـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ لـأـنـ جـزـءـ مـنـ تـلـكـ الـأـمـهـ.

هـذـاـ كـلـهـ هوـ مـنـطـقـ سـنـنـ التـارـيـخـ، وـالـعـذـابـ حـينـماـ يـأـتـىـ فـىـ الدـنـيـاـ عـلـىـ مـجـتمـعـ وـفـقـ هـذـهـ السـنـنـ، لـاـ يـخـصـ بـخـصـوـصـ الـظـالـمـينـ مـنـ أـبـنـاءـ ذـلـكـ المـجـتمـعـ، وـلـهـذـاـ قـالـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـىـ آـيـهـ أـخـرىـ:

((وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))^(١).

بـيـنـماـ يـقـولـ فـىـ مـوـضـعـ آـخـرـ:

((وَلَا تَتَرُّكُ وَازِرَةً وِزْرَ آخْرَى))^(٢).

فـالـعـقـابـ الـأـخـرـوـيـ دـائـمـاـ يـنـصـبـ عـلـىـ الـعـاـمـلـ مـباـشـرـهـ، وـأـمـاـ الـعـقـابـ الـدـنـيـوـيـ فـيـكـونـ أوـسـعـ مـنـ ذـلـكـ.

إـذـنـ هـاتـينـ الآـيـتـينـ الـكـرـيمـتـانـ تـتـحدـثـ عنـ سـنـنـ التـارـيـخـ وـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـحـصـلـ نـتـيـجـهـ كـسـبـ الـأـمـهـ وـسـعـيـهـاـ وـجـهـدـهـاـ، لـاـ عـنـ الـعـقـابـ بـالـمـعـنـىـ الـأـخـرـوـيـ، وـالـعـذـابـ

١- سوره الأنفال، الآيه: ٢٥.

٢- سوره الفاطر، الآيه: ١٨.

بمعنى مقاييس يوم القيمة^(١). ويمضي القرآن الكريم في عرضه للسنن التاريخية وعلاقتها بالإنسان والمجتمع فمنها:

المُسَأْلَةُ الرَّابِعَةُ: سَنَةُ التَّغْيِيرِ النَّفْسِيِّ وَارْتِبَاطُهَا بِتَغْيِيرِ الْمَجَامِعِ

من السنن التاريخية التي أظهرها القرآن الكريم هي سنة التغيير النفسي وعلاقتها بالمجتمع؛ هذه العلاقة التي يظهرها القرآن على هيئة قانون مؤثر في إصلاح الأمم، بل يظهر مفهوماً أعم من ذلك؛ وهو ارتباط الإصلاح المجتمعي بالإصلاح الفردي.

بمعنى: لا- يمكن أن تنهض الأمم ما لم تبدأ بإصلاح أفرادها، أو من أراد أن تكون أمته التي ينتمي إليها وقومه الذين ينتسب إليهم أمه صالحه، فعليه أن يبدأ بمشروع التغيير الشخصي، أى أن يبدأ بتغيير نفسه أولاً ثم أهل بيته ثم أقربائه وهكذا، وهو ما دل عليه قوله تعالى:

((لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) ^(٢).

والعله في هذا الترابط، وهذه العلاقة هو أن: (المحتوى الداخلي النفسي والروحي للإنسان هو القاعده، وإن الوضع الاجتماعي هو البناء العلوى، وأن هذا البناء العلوى لا يتغير إلا وفقاً لتغيير القاعده).

إذن: هذه الآية تتحدث عن علاقة معينة بين القاعده والبناء العلوى بين الوضع النفسي والروحي والفكري للإنسان وبين الوضع الاجتماعي، بين داخل

١- السنن التاريخية في القرآن لمحمد باقر الصدر قدس سره: ص ٥٤ و ٥٥.

٢- سورة الرعد، الآية: ١١.

الإنسان وبين خارجه، فخارج الإنسان يصنعه داخل الإنسان، فإذا تغير ما بنفس القوم تغير ما عليه وضعهم، وعلاقاتهم، والروابط التي تربط بعضهم ببعض، ولذا: فهذه سنن من سنن التاريخ، ربطت القاعده بالبناء العلوى.

((ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلَيْهِمْ)) (٢١)(٢).

المأسال الخامسة: آثار سنن الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة

كثيره هي السنن التاريخية التي يعرضها القرآن الكريم، إلا أنها أجملنا في ذكرها واكتفينا ببعضها كي ينسجم ذلك مع ما شهدته الحركة التاريخية عند المسلمين وعوامل تطورها، ومنها الدور المميز للقرآن الكريم في تجديد الفكر العربي، ونموه بشكل خاص، والإنساني بشكل عام.

ولذا كان القرآن قد تصدر الكتب السماوية في بيانه لهذه السنن التاريخية وآثارها على الفرد والمجتمع فكان منها: سنن الاستقامة وتطبيق أحكام الله تعالى على الفرد والمجتمع؛ وهي سنن تاريخية لعبت دوراً مهما في تحديد مصير الإنسان والأمة. قال تعالى:

((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفَامُوا التَّوْرَاهُ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)) (٣).

١- سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

٢- السنن التاريخية في القرآن لمحمد باقر الصدر: ص ٥٨.

٣- سورة المائدة، الآية: ٦٦.

وقال عز وجل:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْيَ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَخْدَنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))^(١).

وقال عز شأنه:

((وَلَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً))^(٢).

((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّهٖ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهَتَّدُونَ))^(٣).

«هذه الآيات تتحدث عن علاقه معينه بين الاستقامه وتطبيق أحكام الله سبحانه، وبين وفره الخيرات ووفره الإنتاج، وبلغه اليوم: بين عداله التوزيع وبين وفره الإنتاج.

فالقرآن يؤكـد أن المجتمع الذى تسودـه العـدـالـه فى التـوزـيعـ، الـتـى عـبـرـعـنـهاـ القرـآنـ تـارـهـ بـ: ((وَلَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ))ـ،ـ وأخرـىـ بـ: ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْيَ آمَنُوا وَاتَّقُوا))ـ،ـ وأخرـىـ بـ: ((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَفَاقُوا التَّوْرَاهُ وَالْإِنْجِيلَ))ـ هو المجتمع المتقدم والمعافـىـ من الأمـراضـ والـانـحرـافـاتـ .ـ

لأن شريـعـهـ السـماـءـ نـزـلتـ منـ أـجـلـ تـقـرـيرـ عـدـالـهـ التـوزـيعـ،ـ وـإـقـامـتهاـ عـلـىـ أـسـسـ عـادـلـهـ،ـ يـقـولـ:ـ لوـ أـنـهـمـ طـبـقـواـ عـدـالـهـ التـوزـيعـ،ـ إذـنـ لـماـ وـقـعـواـ فـيـ ضـيـقـ منـ نـاحـيـهـ الشـروـهـ المـنـتـجـهـ،ـ بلـ لـازـدـادـ الشـراءـ وـازـدـادـتـ الـخـيرـاتـ وـالـبـرـكـاتـ،ـ لـكـنـهـ تـخـيلـواـ أـنـ عـدـالـهـ التـوزـيعـ تـقتـضـىـ التـقـسيـمـ،ـ وـمـنـ ثـمـ تـقـتضـىـ فـقـرـ النـاسـ .ـ

١- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٢- سورة الجن، الآية: ١٦.

٣- سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

بينما الحقيقة أن السنن التاريخية تؤكد عكس ذلك، تؤكد بأن تطبيق شريعة السماء وتجسيد أحكامها في علاقات التوزيع، تؤدي دائماً وباستمرار إلى وفره الإنتاج وإلى زيادة الثروة، إلى أن يفتح على الناس بركات السماء والأرض^(١).

أقول: هذه السنن التاريخية التي يعرضها القرآن الكريم والتي جرت في الأمم السابقة هي أيضاً ممكناً الوقوع في هذه الأمة.

ولذا: نجد القرآن قد قرن نتائجها باتباع أحكام الله عز وجل، بمعنى: أن الأمة لو استقامت في سلوكها واتبعت أحكام الله تعالى لثالث بركات السماء والأرض؛ بل لحيث حياء لم تحبها أمه من الأمم، وهذا نفسه كان حتمي الوقع والنتائج في الأمم السابقة فيما لو استقامت في سيرها وسلوكها.

كما: إن الأمر غير محصور في عدالة التوزيع فقط كما ذهب إليه سماحة السيد الشهيد السعيد قدس سره بحيث لو أن الأمم قد استقامت في عدالة التوزيع إذن لما وقعوا في ضيق من ناحية الثروة المنتجة، وإنما الأمر يتعداً إلى أبعد من ذلك وهو تقديم عقيدة الآباء على أحكام السماء بشكل عام كما دلت عليه الآية.

((بَلْ قَالُوا إِنَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّهٖ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ)).^(٢)

فمخالفه الأمم أحكام الله واتباعهم لمعتقدات آبائهم هو الذي حرموا من أن يسوقوا ماءً غدقاً. نعم، عدالة التوزيع إن تمت في أي أمة من الأمم حتى ولو لم تكن على دين سماوي يؤدي ذلك إلى ازدياد الخيرات، والتاريخ قد يبيّن حاضراً مليء بالشواهد التي تدل على أثر عدالة الحكم في نمو خيرات بلده.

١- السنن التاريخية في القرآن للسيد الشهيد لمحمد باقر الصدر: ص ٦٠ و ٦١.

٢- سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

الفصل الثالث: حركة التاريخ وسننه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اشاره

يشغل التاريخ حيزاً واسعاً في علوم أهل البيت عليهم السلام، والسبب في ذلك يعود إلى اهتمام القرآن أولاً بعلم التاريخ، وثانياً لكونه مدرسه كبيره لمن أراد أن ينطلق لبناء الحياة الدنيا وينجو في الآخرة.

فالتاريخ كما يعرضه القرآن والعتره:

هو خزين لتجارب الأمم مع الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين بعثوا إلى هذه الأمم، والتاريخ هو ساحه للصراع بين الخير والشر، وهو نماذج عديدة ومتعددة من العقول البشرية، ورصيد ضخم من الفكر السياسي والقيادي لهذه الأمم، ناهيك عن تجارب في الاقتصاد كما في قضيه يوسف أثناء توليه خزانه مصر.

((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظُ عَلَيْمٌ)) [\(١\)](#).

وفى الاجتماع وعوامل رقيه وفساده ك القوم لوط.

((وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَيَقْكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ)) [\(٢\)](#).

١- سورة يوسف، الآية: ٥٥.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٨١ ٨٠.

وفي الوعى الثقافى والفكري كقوم إبراهيم فى أرض بابل حينما كانت الاتجاهات العقائدية والفكريه متعدة بين عباده الشمس والقمر والنجوم.

((فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبُرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حِينِفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) [\(١\)](#).

وبين عباده الأصنام؛

((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَيْهِ آرَزَ أَتَتَخِذُ أَصْنَاماً آلَهَ إِنِّي أَرَاكُ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)) [\(٢\)](#).

وبين قدره إبراهيم عليه السلام فى نفوذه إلى تلك العقول بعقيدته التوحيد فمره ينفذ إلى عقول معتقدى عباده الأصنام فيكسرها إلا كبارهم.

((فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَمَّا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأُتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَمَّا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ)) [\(٣\)](#).

ومره ينفذ فى حواره العقائدى مع النمرود حينما أوقف منافذه الفكرية بآيه خروج الشمس من المشرق وتعجيزه أن يأتي بها من المغرب.

١- سورة الأنعام، الآيه: ٧٧ ٧٨.

٢- سورة الأنعام، الآيه: ٧٤.

٣- سورة الأنبياء، الآيه: ٥٨ ٦٣.

((أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِي حَيَا جَ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنَّ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْسَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُعْلِمُنِي وَيُمِيزُنِي قَالَ أَنَا أَعْلَمُ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَسْرِقِ فَأَتَ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي النَّقْوَمَ الظَّالِمِينَ)) [\(١\)](#).

وفي الجانب السياسي والقيادي للأمة كما في استخلاف هارون عليه السلام.

((وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي) [\(٢٩\)](#) هَارُونَ أَخِي) [\(٢\)](#) ((وَوَاعِدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)) [\(٣\)](#).

ناهيك عن الخزين الضخم من التجارب المتنوعة في المجالات المختلفة والمحصرة بأشخاص كمؤمن آل فرعون، ومؤمن آل ياسين، وأسييه بنت مزاحم، وأصحاب الكهف، وهابيل وقابيل، ومريم ابنة عمران صلوات الله وسلامه عليها، وغيرها.

كل ذلك وغيره مما لم نستطع الإحاطة به كان مداعاه لأن يشغل التاريخ حيزا واسعا في علوم أهل البيت عليهم السلام لا سيما وان حركة التاريخ وسنته تبدأ عند أهل البيت عليهم السلام من سراجهم المنير وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف كانت حركة التاريخ وسنته عنده؟.

١- سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

٢- سورة طه، الآية ٢٩.

٣- سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

المبحث الأول: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من البدئي أن يهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحركة التاريخ وهو يرى الوحي قد نزل على قلبه بهذا الحكم الكبير من الآيات التي تخبره عن الحركة التاريخية وال السنن التاريخية لمختلف الأمم التي خلقها الله تعالى، إذ لا يخفى أن القرآن يعرض الحركة التاريخية للأمم الأخرى غير الإنس، كالملائكة وسجودها لآدم، والشياطين ودورها في انحراف الأمم. ولذا تبدأ هذه الحركة منذ خلق آدم عليه السلام.

بل القرآن يتحدث عن الحركة التاريخية للعلوم ونشوئها وتطورها، كمراحل خلق السموات والأرض، ومراحل النشأة والتكونين للعناصر الحياتية على الأرض، وتاريخ تكون الأعراق البشرية، واختلاف الألوان والألسن، وغيرها مما لا حصر له، فما من علم إلا وله بدايه نشأ منها وانطلق من عندها ليكون بذلك سجلاً تاريخياً يدون فيه سير هذه الحركة التاريخية لهذا الصنف من العلم أو ذاك، ولهذه الأمة أو تلك.

ومن هنا: ظهرت الحركة التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسعه وعميقه، فقد روى أحمد في المسند عن عمران بن حصين: "كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يحدثنا عامه ليه عن بنى إسرائيل لا يقوم إلا لعظيم صلاه"^(١).

ويبدو أن السبب في تركيز النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على بنى إسرائيل لعدة أمور، منها:

١- مستدرك الحاكم النيسابوري: ج ٢، ص ٣٧٩. البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢، ص ١٥٧، وقال: رواه أبو داود عن قتادة، عن أبي حسان، عن عبد الله بن عمرو. والحديث رواه البزار من هذا الطريق، ومن طريق عمران بن حصين.

١ تعاقب عدد من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم.

٢ تنوع الجوانب الحياتية لديهم باختلاف الأزمنة التي بعثت بها أنبياؤهم؛ بمعنى أن كل فتره زمانٍ أو مكانٍ هو عباره عن سجل تاريخي للحركة البشرية.

٣ اختلاط اليهود بال المسلمين وتشكيلهم نسبه جيده من الجغرافيه العربيه التي تعددت فيها المعتقدات، فقد ظهرت في الجزيره والعراق واليمن والشام مجموعه من المعتقدات.

٤ قرب زمانهم من زمان بعث النبي صلی الله عليه وآلہ وسلم وهذا يدل على استيعاب المسلمين لأثر السنن التاريخية التي مررت بها مجتمعات بنى إسرائيل.

٥ نفوذ الثقافه اليهوديه والنصرانيه في أنديه المدينه بشكل خاص.

٦ تجدد العوامل الفاعله في حركه السنن التاريخيه في أمه المصطفى صلی الله عليه وآلہ وسلم.

وهو الأمر الذي كان ينبه عليه رسول الله صلی الله عليه وآلہ وسلم وكان يحذر المسلمين منه، بعد أن لاحظ النبي الأكرم صلی الله عليه وآلہ وسلم أن العديد من أسس السنن التاريخيه بدأت تتحرك في أمته.

ولذا أراد حفظهم من عدم تحقق هذه السنن التاريخيه كى لا تحصد الأمه ما سيترتب على هذه السنن من نتائج.

ومن هنا: نجده صلی الله عليه وآلہ وسلم كان يحدث المسلمين عن تلك السنن التاريخيه التي جرت في بنى إسرائيل، كى يحذرهم منها ويأمنوا من عدم الواقع بها. وهو في نفس الوقت أعطى خزيناً تاريخياً وعاملاً نهضوياً في قيام الحركة التاريخيه عند المسلمين.

المبحث الثاني: السنن التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لم يغب عن ناظر النبي الأكرم صلى الله عليه وآلـه وسلم المنهج الذى قدمه القرآن فى إصلاح الأمم من خلال وضع العديد من السنن الإلهية فى الحياة الإنسانية والتى عرفت فيما بعد وحسب اصطلاح المؤرخ بالسنن التاريخية؛ فهذه السنن لم تكن تغب عن ناظر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآلـه وسلم ولذا كان يحدث المسلمين وبين لهم تلك القوانين الإلهية التى تحكمت فى مصير الأمم السالفة ولا سيما بنى إسرائيل الأقرب عهدا بأمه الإسلام والأكثر احتكاكا وتعايشا، وربما فهما واستيعابا لتلك النتائج التى تم خضت منها هذه السنن التاريخية.

وحيث إن الطبيعة البشرية هى هى، تتأثر بالمتغيرات الحياتية والفكريـه وحيث إن عناصر الشر والخير متـصلة ومتـنـامية فى جميع الأمم كان لزاماً على هذه الأمة أن تحيى تلك السنن التاريخية والقوانين الحياتية التى عاشتها الأمم السابقة.

ومن هنا: نجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآلـه وسلم ولا سيما فى السنـة الأخيرة من حياته الشريفـه يحذرهم من اتباع تلك السنن التاريخية؛ بل يظهر الحديث الشريف أنه كان يرى أن هذه الأمة قد سلكت سـبيل السنـن التاريخـية للأمم السابقة لا محـالة.

قال صلى الله عليه وآلـه وسلم:

«لتـبعـنـ سنـنـ منـ كـانـ قـبـلـكـمـ حـذـوـ النـعـلـ بـالـنـعـلـ،ـ وـالـقـدـهـ بـالـقـدـهـ حـتـىـ لوـ أـحـدـهـمـ دـخـلـ حـجـرـ ضـبـ لـدـخـلـتـمـوـهـ!ـ».

قالوا: فالـيهـودـ وـالـنـصـارـىـ يـاـ رـسـولـ اللهـ؟ـ.ـ قالـ:

فـمـنـ أـذـنـ»[\(١\)](#)

١- الرسائل العـشر للـطـوـسىـ: صـ١٢٧ـ.ـ وـقـرـيبـ مـنـهـ فـيـ:ـ الـمـصـنـفـ لـابـنـ أـبـىـ شـيـبـهـ:ـ جـ٨ـ،ـ صـ٦٣٦ـ.

وفي لفظ آخر أنه صلى الله عليه وآلـه وسلم قال:

«لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلکوا حجر ضب لسلکتموه.

قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟. قال:

[فمن](#) [\(١\)](#).

وفي لفظ أنه صلى الله عليه وآلـه وسلم قال:

«لا تقوم الساعه حتى تأخذ أمتى بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع.

فقيل يا رسول الله: كفارس والروم؟. قال:

[ومن الناس إلا أولئك](#) [\(٢\)](#).

هذه التحذيرات التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآلـه وسلم في اتباع هذه الأمة السنن التاريخية للأمم السابقة ولاسيما بنى إسرائيل كانت محفزا قويا عند المؤرخين العرب في معرفة تاريخ اليهود والنصارى وما جرى في أحوالهم من هذه السنن الإلهية (التاريخية).

ومما ساعد على نمو هذه الحركة التاريخية والمعرفية هو (ظهور جماعة من أهل الديانة اليهودية والمسيحية تتصدى بعد إسلامها لإذاعه تلك المعرفة، وهم الذين يسمون بـ ابن إسحاق بـ (أهل العلم الأول).

ويذكر عن وهب بن منبه أنهقرأ من كتب الأنبياء كتبًا يختلف عددها في الروايات بين ثلاثة وبين وبضعه وسبعين أو اثنين وتسعين كتابا.

١- صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، ج ٤، ص ١٤٤.

٢- صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنن، ج ٨، ص ١٥١.

وهذا على الأقل يعني توفر هذه الكتب في المناطق من الجزيره والشام والعراق، في القرن الأول الهجري ولو أنها كانت في معظمها على ما يظهر بالسريانيه والعربيه؛ وقد دخل الكثير منها في معلومات هذه الكتب على التاريخ العربي حتى لقد عرفت آثارها في التاريخ، وفي علوم الدين باسم خاص هو: الإسرائييليات.

ويبدو مما وجد من أوراق البردي الإسلامي أن ترجمة هذه الأمور والنصوص إلى العربيه قد تمت في أوائل القرن الثامن الميلادي أو أواخر القرن الأول الهجري^(١).

فهذه الأسباب هي التي كانت وراء دخول المعرف التاريخيه التوراتيه الإنجيليه إلى الثقافه الإسلامية ولاسيما التاريخ والحديث، وهو الأمر الذي يفنى المزاعم التي أطلقها المستشرق روزنتال في بحث كتبه عن (أثر التقاليد التوراتيه الإنجيليه في التاريخ لدى المسلمين).

والذى يدعى فيه:

(أن فكره التاريخ في الكتاب المقدس قد أثرت في النبي، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخيه العالميه في إنتاج مؤلفات تاريخيه شامله، وأنهم أغروا تلك المؤلفات بمداد تاريخيه مأخوذه عن الكتاب المقدس والأثار التوراتيه الإنجيليه، وأن ثمه أخيراً توازيها وتشابها في (شكل) تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخيه التوراتيه والإسلاميه)^(٢).

١- التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧.

٢- التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧ و ١٠٨.

فى حين أن الدافع الذى دفع المسلمين إلى قراءه التاريخ والآثار اليهوديه الإنجيليه هو ليس ما تحتويه هذه الكتب من ماده تاريخيه، وإنما الأحاديث النبويه التى أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآلـه وسلم فى اتباع أمته سنن الأمم السالفة ولاسيما بنى إسرائيل؛ فكان الخوف من الواقع فى هذه السنن ومحاوله تجنبها والنجاه منها هو المحفز الأول فى قراءه هذه الآثار التوراتيه الإنجيليه، وإلا هذه الآثار كانت موجوده قبل الإسلام لكنها لم تأخذ من الوعى التاريخي عند العرب أى اهتمام يذكر كما يدعى روزنتال.

(ويشير روزنتال بعض التساؤلات حول أى نوع من النصوص التوراتيه الإنجيليه نقل إلى العربيه هل هو بعض الفرق المسيحيه أو اليهوديه المعنيه أم هو أشكال محوره عن النصوص الأهلية لذلك القصص القديم، ويضيف أنه من المقبول عame له لدى الباحثين المحدثين أن معظم المواد التاريخيه التى أخذتها المؤرخون (منذ أواخر القرن الثالث فما بعد) كما اتضح لدى الطبرى وحمزة الاصفهانى والبیرونی والیعقوبی، إنما ترجع إلى كتاب «المدارش والهاگاداه»^(١) لدى اليهود والنصارى، ولكنها خضعت للكثير من التعديل؛ ومثل ذلك قصص الأنبياء.

١- التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٨، وجاء فيه (المدارش) هى: التفاسير الأولى للتلمود وهى أساس المثنا الذى نسقه الحاخامون بعد القرن الثاني الميلادي وأما (الهاگاداه) فكتب التهجذ والوعظ. وهناك الجماره، وهى: جمرة المناظرات والتعاليم والتفاسير التى جرت فى المدارش، أى: أماكن تدريس الكتاب المقدس فى الكنيس (وتجذر كلمه مدرasha = دراسه ومدرسه) وذلك بعد انتهاء جمع المثنا.

وما أراد روزنثال أن يعده تأثيراً ونقلًا إنما يرجع في الواقع إلى حقيقه مسبقه وهي أن القرآن جاء ((مُصَيَّدًا لِمَا يَكُنْ يَمْدُدُهُ مِنَ الْكِتَابِ)) وأن الإسلام لم ينكر وجود العقائد الدينية السابقة ولكنه رفض استمرار الإيمان بها بعد ظهوره، ووحده الرساله من ذ إبراهيم أبي الأنبياء، وعبر الأنبياء المتعددين حتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم آخر النبيين، إنما كانت تقتضى هذا النوع من التطابق مع الفكر التاريخي للتوراه والإنجيل، وهذا النوع من المقبول للماده التاريخيه الناجمه عنها)^(١).

بل إن السبب في التشابه بين الماده التاريخيه اليهوديه الإنجيليه وبين الماده التاريخيه الإسلاميه هو ليس هذا النقل الذي تم من خلال ترجمته كتابي «المدارش والهاگاداه» ودخول هذه الثقافه إلى الفكر الإسلامي، إنما هو تحقق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع هذه الأمة سنتن بنى إسرائيل لدرجه الشبر بالشبر والذراع بالذراع؛ بل لو دخل أحدهم في حجر ضب لدخله المسلمين!.

هذا الانطباق الواقعى للسنن التاريخيه بين بنى إسرائيل والمسلمين لاسيما ابتداء تحقق ذلك بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقسامهم على ثلاث وسبعين فرقه فى هذا الزمن وانتشار الفكر التكفيري فيما بينهم هو الذى خلق هذا التصور الذى ذهب إليه روزنثال وغيره من المستشرقين والباحثين في نشاء التاريخ العربي والإسلامى وحركته وتطوره.

إذن: مثلما ركز القرآن الكريم على نفوذ السنن التاريخيه في الأمم السابقة كذلك كان حالها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١- التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٨.

الفصل الرابع: حركة التاريخ وسننه عند الإمام على عليه السلام

اشاره

لكى نضع أيدينا على تطور الوعى التارىخي عند العرب فلابد أن ندرك دور القرآن وعتره النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تدریس هذا العلم وتطویره.

بل: إنهم أصحاب الفضل الأول بعد القرآن فى خلق هذا الوعى التارىخي وتطویره وتحقیقه بين أهله كسلیم بن قیس ومحمد بن إسحاق المطلبی حتى جعلته يحتل الصداره فى هذا العلم.

ولذا كان لزاماً أن نعرّج على مدرسه الإمامه، ونهبط عند أعتاب باب مدینه علم النبوه، وأن نجلس بين أروقه مدرسه أمير المؤمنين عليه السلام لنفهم كيف هو التاريخ عنده، حركه وسنّه؟.

المبحث الأول: حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام

يتخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من حركة التاريخ وسيلة لتنقیم السلوك الإنساني وأداء لإصلاح المجتمعات؛ هذا الإصلاح الذي لا يتم إلا من خلال إصلاح أفراد المجتمع أو الأمة كما يعبر عنها القرآن الكريم.

وتمتاز علاقه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحركة التاريخ عن غيره من يهتمون بالتاريخ بأنه عليه السلام يتعالى مع هذه الحركة وكأنه عنصرٌ من عناصر هذه الحركة، وواحد من مكوناتها، فما أن مرّ على أمه من الأمم تحدث عنها وكأنه أحد أفرادها المبصرين بأحوال أمتهم.

ولذا لم يكن حينما يتحدث عن هذه الأئمة أو تلك بالرجل القاص، أو الراوى المتسلى؛ وإنما هو الرجل المعايش لهذه الأئمة والعارف بعوامل نهوضها، أو اندثارها، المتبحر فى أخلاقها وسلوكها.

ومن هنا: نجده يحث على التعامل مع التاريخ تعامل المرشد، والمصلح، والمقوم لحركة الإنسان الدنيوية والأخروية؛ مما جعل بعض الباحثين ينظرون إلى هذه العلاقة بأنها (علاقة وعظية)^(١)، أي أن الغالب في حديثه عليه السلام عن التاريخ هو الوعظ.

في حين أنه عليه السلام لم يكن ليخالف المنهج القرآني والنبوى الذى عرضناه في بيان حركة التاريخ وسنته، وهو الأمر الذى يمكن ملاحظته بشكل واضح في خطبه وحديثه عن حركة التاريخ وسنته.

ففي حركة التاريخ يقول عليه السلام وهو يوصى ولده الإمام الحسن عليه السلام:

«أى بنى إنى وإن لم أكن عمرتُ عمر من كان قبلى، فقد نظرت فى أعمالهم، وفكّرت فى أخبارهم، وسرت فى آثارهم، حتى عيّدتُ كأحدهم، بل كأنى انتهى إلى من أمرورهم، ما قد عمرتُ مع أولهم إلى آخرهم، فعرفتُ صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره»^(٢).

وهنا نلاحظ رصده الدقيق لحركة التاريخ منذ أن وجد الإنسان على هذه البسيطة وإنه جمع هذه المعرفة من خلال النظر فى أعمال الأمم أفراداً وجماعات، وفكّر فى أخبارهم التى دأب المؤرخون على عرضها دون الفكرة فى أحوالها، فامتاز عنهم بالنظر والتفكير والسبر فى من آثارهم حتى أصبح كأحدهم. بل لدرجاته أنه

١- حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام، محمد مهدى شمس الدين.

٢- نهج البلاغة: خطب الإمام على عليه السلام: ج ٣، ص ٤١. تحف العقول لابن شعبه الحراني: ص ٧٠. كشف المحجه للسيد ابن طاووس: ص ١٦١.

أصبح له من المعرفة بتاريخ هذه الأمم وأحوالها وكأنه عمر مع أولهم إلى آخرهم، ليخرج بمحصلة لهذا كله بأنه أصبح الخبير المتعرس والعارف الحاذق بصفو الحياة الماضية من كدرها ونفعها من ضررها. وبمعنى أدق: أصبح العارف بصفو التاريخ من كدره ونفعه من ضرره.

هذه المعرفة الواسعة والشاملة والعميقه والدقيقه بالتاريخ حركه وسنها كما سيمر علينا كان لها الأثر الفعال في نمو الوعي التاريخي عند المسلمين ولاسيما رواد مدرسه العترة النبوية الطاهره عليه السلام كـ(سليم بن قيس الهلاشي، وجابر بن يزيد الجعفي، ومحمد بن إسحاق المطلي شيخ كتاب السيره النبوية) وغيرهم.

المبحث الثاني: السنن التاريخية عند الإمام علي عليه السلام

اشاره

لقد امتازت نظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية بميزات عديدة منها:

١ الإحاطه بهذه السنن منذ ابني آدم إلى أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ تحديد العامل المشترك في جميع هذه السنن وهو طاعه الله } ومعصيته.

٣ تشخيص ما تؤول إليه هذه الأمة من اتباعها السنن التاريخية التي سارت عليها الأمم السالفة.

٤ الدور الإرشادي لهذه السنن في إصلاح المجتمع.

المسئله الأولى: الإحاطه التامه بالسنن التاريخيه

ومن الشواهد على الميزه الأولى، قال عليه السلام:

«وَإِنْ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالَقَهُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالَقَهِ أَيْنَ الْفَرَاعَنَهُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعَنَهُ أَيْنَ أَصْيَحَابُ مَيَّدَائِنِ الرَّسُّ الَّذِينَ قَتُلُوا النَّبِيِّنَ وَأَطْفَلُوا سُنَّ الْمُرْسَلِينَ وَأَخْيَوْا سُنَّ الْجَبَارِينَ أَيْنَ

الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأَلْوَفِ وَعَشَكُرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ»؟^(١).

فهذه النظرة المحيطة بالسنن التاريخية التي تهافت بفعلها تلك الأمم فلم تبق منها سوى الأساطير هي في الواقع تصرخ بالقادم من الأجيال إلى الحذر من الواقع في مهالك تلك الأمم حينما لم يراعوا قوانين السماء وما جاءت به الأنبياء من شرائع.

وفي شاهد آخر يقول عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الْأَخْوَالِ وَأَقْرَبَ اشْتِيَاهَ الْأَمْثَالِ»^(٢).

وفي شاهد آخر يقول عليه السلام:

«تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَيَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لِيَالِي كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقِيَاصَةُ رُهْ أَرْبَابًا لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْأَفَاقِ، وَبَحْرِ الْعَرَاقِ، وَخُضُورِ الدُّنْيَا، إِلَى مَنَابِتِ الشَّيْحِ، وَمَهَافِي الرَّيْحِ، وَنَكَبِ الْمَعَادِشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةَ مَسَاكِنِ، إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذْلَّ الْأَمْمَ دَارَ، وَأَجْيَدَهُمْ قَرَارًا، لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَهِ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إِلَى ظِلِّ الْفَقِيرِ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزَّهَا، فَالْأَخْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفةٌ، وَالْكَثُرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهَنَّمِ مِنْ بَنَاتِ مَؤْوِدَهِ، وَأَصْنَامِ مَعْبُودَهِ، وَأَرْحَامِ مَقْطُوعَهِ، وَغَارَاتِ مَشْتُونَهِ»^(٣).

وهنا يتحدث عليه السلام عن حال العرب في الألف الأولى قبل بirth النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أي ما بين موسى عليهم السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

- ١- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبه في تنزيه الله، ج ٢، ص ١٠٨، خ ١٨٢.
- ٢- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: الخطبه القاسمه، ج ١٣، ص ١٧١.
- ٣- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، ج ٢، ص ١٥٣.

و شمال أفريقيا مصر وماجاورها، وأهل مكه وما يحيط بها من مدن، كيف كان حالهم؟ وما هو دور السنن في رسم حياتهم؟

أنهم كانوا مشتتين مفرقين حينما كانت ملوك الفرس في الشرق، وأباطره الروم في الغرب، تتحكم بهم وتقبض على أنفاسهم وأرواحهم وتنهب خيراتهم، كانوا يزرعون لأكل الأكاسره والقياصره بينما هم مدفوعون عن خضرتهم إلى منابت الشیح ومهافی الريح (أى عنب الصحراء) ونکد المعاش، فترکوهم عاله مساکین، أخوان دبرٍ ووبر (أى: تحت الخيام التي تصنع من شعر الإبل وهو الوبر) أذل الأمم داراً وأجدبهم قراراً.

ثم يمضى عليه السلام في بيان حال العرب قبل أن يمن الله عليهم بالحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يصبح حالهم بعد أن بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول عليه السلام:

«فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتُهُمْ وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ الْفَتَّهُمْ كَيْفَ نَشَرَتِ النُّعَمَهُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا وَأَسَالتُ لَهُمْ حِيدَاوِلَ نَعِيمَهَا وَالْتَّفَتَ الْمِلَّهُ بِهِمْ فِي عَوَادِ بَرَكَتِهَا فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرَقِينَ وَفِي خُضْرَهِ عَيْشَهَا فَكَهِينَ قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانِ قَاهِرٍ وَأَوْتُهُمُ الْحَيَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكِ شَابِتٍ فَهُمْ حُكَامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَيُمْضِيُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيَهَا فِيهِمْ لَا تُغْمِزُ لَهُمْ قَنَاهُ وَلَا تُقْرِعُ لَهُمْ صَفَاهَ»^(١).

١- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبه القاسعه، ج ٢، ص ١٥٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ١٤، ص ٤٧٣. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١٣، ص ١٧٧.

المسألة الثانية: تحديد العامل المشترك في السنن التاريخية

أما الميزة الثانية لنظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية، فهي: تحديد العامل المشترك في جميع هذه السنن وهو طاعة الله وعصيته.

فيقول عليه السلام:

﴿أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، لَمَّا عَمُّوْهُ بِالرَّضَا﴾ (١).

﴿وَإِنَّ عِنْدَكُمْ أَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوْارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبِطُوا وَعِيَدَهُ جَهَلًا بِأَخْمَذِهِ وَتَهَاوِنًا بِيَطْشِيهِ وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْبَحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَزَوَّكُمُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعْنَ اللَّهِ السُّفَهَاءُ لَرُكُوبُ الْمُعَاصِي، وَالْحُلْمَاءُ لِتَرْكِ التَّنَاهِي﴾ (٢).

والسمة الأبرز في هذا العامل المشترك بين السنن التاريخية هي سنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي بها يكون حفظ المجتمعات من التفكك والانهيار وضياع النعم والخيارات وفقدان الأمن وما يتلوه من انعدام الأمان والسلام وانتشار الفوضى وعموم الفساد.

ولذا نجد في عليه السلام قد رکز على دور هذه السنة التي تعد السمة البارزة في ظهور طاعة الله وعصيائه؛ ولذلك اتبعها بلعنة لسفهاء الذين يركبون المعاصي، والحلماء لتركهم التناهى.

١- مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٢، ص ١٩٤.

٢- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبه القاسمه، ج ٢، ص ١٥٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٣٤، ص ٢٢٣.

وفي قول آخر يظهر فيه أهمية هذه السنة التاريخية وما تؤول إليه الأمم في تركها، أو العمل بعكسها فيقول عليه السلام:

ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُعَيْرٌ وَلَا زَاجِرٌ مُزَدِّجٌ أَفِيهَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُمْدَسِهِ (أَيِ الْجَنَّةِ) وَتَكُونُوا أَعَزَّ أُولَيَائِهِ عِنْدَهُ هَيْهَاتٌ لَا يُخَدِّعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.

«لَعْنَ اللَّهِ الْأَمْرِينَ بِالْمُعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ وَالنَّاهِيَنَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ» (١١).

السؤال الثالث: تشخيص نتائج السنن

وفي تشخيص ما تؤول إليه هذه الأمة من اتباعها للسنن التاريخية التي سارت عليها الأمم السالفة يقول عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْلَا مَنْ تَخَادَلَ عَنْ نَصِيرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيْكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْكُمْ وَلَمْ يَقُولْ مَنْ قَوَى عَلَيْكُمْ لَكِنْ كُمْ تَهْتَمُ مَتَاهَةً بَنَى إِسْرَائِيلَ وَلَعْمَرِي لَيْضَهُ عَفَنَ لَكُمُ التَّيْهُ مِنْ بَعْدِهِ أَضْعَافًا بِمَا خَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمُ الْأَذْنَى وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ» (٢).

- ١- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: من كلام له خاطب به أباذر، ج ٢، ص ١٢، ح ١٢٩. وسائل الشيعه (آل البيت) للحر العاملي رحمه الله: ج ١٦، ص ١٥١، ح ٢١٢١٦.

٢- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: من خطبه له أول خلافه عظم فيها حقه: ج ٢، ص ٧٩، ح ١٦٦. الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج ٨، ص ٦٦، ح ٢٢، وجاء فيه: (وَقَطَعْتُمُ الْأَذْنَى مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَوَصَّلْتُمُ الْأَبْعَدَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

وتشخيصه عليه السلام لسلوك هذه الأمة سفن من كان قبلها، لم يكن تشخيص المنظر للأحداث التاريخية، وأحوال الأمم السابقة؛ وإنما تشخيص الخبر المترس. ولذا نجده يظهر الأسباب والنتائج، فيبدأ بذكر الأسباب، فيقول:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَمْ تَتَحَذَّلُوا عَنْ نَصِيرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهْنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ» «لَمْ يَطْمِعْ فِيْكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقُولْ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ».

وهذه النتيجة التي تكشف عن تحرك السنن التاريخية في هذه الأمة تظهر نتائجها في كل زمان ومكان.

ثم إنه عليه السلام لم يكتفي بذلك فقط وإنما يظهر ما تؤول إليه مضاعفه النتائج، إذ نفس هذه النتيجة يمكن للأمة أن تتحكم في تغييرها نحو الأفضل فيما لو سعت إلى تغيير هذه النتيجة التي يظهرها عليه السلام بأنها سبب آخر لتردي الحال، فيقول عليه السلام:

«لَكِنَّكُمْ تَهْمُمْ مَيَاهَ بَنَى إِسْرَائِيلَ، وَلَعَمْرِي لَيْضَ عَفَنَ لَكُمُ التِّيْهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا بِمَا حَلَفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَذْنَى، وَوَصَلْتُمُ الْأَبْعَدَ».

ويظهر هنا أن بعض السنن التاريخية المتعلقة بهذه الأمة تتضاعف فيها النتائج الارتدادي لسيرها، لدرجة يبدو فيها أن التدارك لهذه النتيجة صعب، إن لم يكن مستحيلا؛ والسبب يعود إلى تمسك هذه الأمة بالنهج الذي انتهجه، من جعلها الحق وراء ظهرها، وقطعها الأذنى (أى القريب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ووصلها أى مؤازرتها واتباعها) للبعيد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن هنا: لم يكن عليه السلام ليدع هذه الأمة الإسلامية، ولا سيما العرب لتسير في هذا الطريق المظلم، أو أن تتبع سنتن الذين ظلموا أنفسهم وأهليهم؛ بل كان يرشدهم ويحثهم على تجنب الفتنة والوقوع بها والخوض فيها، فيقول عليه السلام:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرِضُ بِلَادِيَا قَدِ افْتَرَبْتُ فَاتَّقُوا سِكَرَاتِ التَّعْمَهِ، وَاحْذَرُوا بَوَاقِ النَّقْمَهِ، وَتَبَّعُوا فِي قَنَامِ الْعِشْوَهِ، وَاعْوِجِاجِ الْفِتْنَهِ، عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينَهَا، وَظُهُورِ كَمِينَهَا وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا، وَمَدَارِ رَحَاها.

تبَدَّأ فِي مَدَارِجِ خَفِيَّهِ، وَتَنُولُ إِلَى فَطَاعَهِ جَلِيلِهِ، شِبَابُهَا كَشِّـبَابِ الْغَلَامِ، وَآثَارُهَا كَآثَارِ السَّلَامِ، يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَهُ بِالْعَهُودِ، أَوْلُهُمْ قَائِدُ لآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوْلَهُمْ، يَتَنَافَسُونَ فِي دُبْيَا دَيْهِ، وَيَتَكَالَّبُونَ عَلَى جِيفِهِ مُرِيَحِهِ، وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتَّبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقْوُدِ، فَيَتَرَاهُمْ بِالْبَعْضَاءِ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ الْلَّقَاءِ»^(١).

لكن النتائج التي انتهت إليها هذه الأمة كانت تظهر أنّ هذا التنبية والتحذير والإرشاد، لم يكن ليؤتي ثماره كما لم تأتِ ثمار التوجيه والإرشاد والتحذير التي قدمها القرآن الكريم؛ والسبب في ذلك يبدو في إصرار الناس على التمسك بالباطل، وتقديم المصالح والأهواء على الحقوق والأنظمة الشرعية.

أى أن الله { لم يكن ليترك هذه الأمة دون أن تجري فيها سنه الافتتان كما جرت في الأمم السابقة إلا أن الفارق هو أن هذه الأمة كان لديها رصيد ضخم

١- نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبته في الفتنة وما يكون فيها، ج ٢، ص ٣٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٣٤، ص ٢٦٦، الباب الثالث والثلاثون، ما وقع في أيام خلافته عليه السلام.

من المعرفة بهذه السنن التاريخية ومقدماتها ونتائجها إذ لم يدعها القرآن على عمى ولم يتركها النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون هدى.

لكن النفس الإنسانية هي النفس لم تكن لتعلم موقعها من الحق والباطل ما لم تفتتن وتجر فيها هذه السنة الإلهية التي جرت في الأمم السابقة؛ وفي ذلك يقول عليه السلام وقد سأله رجل عن الفتنة قائلا له: يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الفتنة، وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنها؟ فقال عليه السلام:

«إِنَّهُ لَكَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلُهُ:

((الـ(١) أَخْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ))

عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَئِنَّ أَظْهَرَنَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟.

فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أَمَّتِي سَيُفْتَنُونَ بَعْدِي.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحْدِي حِينَ اسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَجِزَّتْ عَنِ الشَّهَادَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي أَبْشِرُ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ.

فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذِلِكَ فَكَيْفَ صَبِّرُكَ إِذَاً.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبَرِ وَلَكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ الْبُشْرَى وَالشُّكْرِ.

وَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ الْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمْنُونَ بِدِينِهِمْ وَيَتَمَّنُونَ سَطْوَةَ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَيَأْمُنُونَ سَطْوَةَ حَرَامَةِ الشَّبُّهَاتِ الْكَادِبِهِ وَالْأَهْوَاءِ السَّاهِيَهِ، فَيَسْتَحْلُونَ الْحَمْرَ بِاللَّبَيْذِ، وَالسُّحْنَ بِالْهَدَيَهِ، وَالرَّبَّا بِالْبَيْعِ.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَبِأَيِّ الْمَنَازِلِ أُنْزِلُوكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، أَبِمَّنْزِلِهِ رِدَّهِ، أَمْ بِمَنْزِلِهِ فِتْنَهِ؟

فَقَالَ: بِمَنْزِلِهِ فِتْنَهِ[\(١\)](#).

فكيف لا تكون كل هذه الإحاطة بهذه السنن التاريخية من مقدماتها، وديموتها، وتضاعف نتائجها، من تكوين وعي تاريخي عند تلامذته بشكل خاص وعند العرب بشكل عام؟.

وكيف لا يكون سليم بن قيس الهمالي صاحب التصنيف الأول في كتابه الوجه الآخر لتاريخ المسلمين بهذا القدر الكبير من الوعي التاريخي والتفكير المنهجي.

وكيف لا يكون محمد بن إسحاق المطلي صاحب المغازي والسير ومصنف السيره النبوية الأول بهذا الوعي التاريخي وهو قد نشأ في بيت عُرف بموالاته للعترہ النبویه، وتتلذذ في مدرسه على أمير المؤمنین عليه السلام، فهذا نهجهم في حفظ سیره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدوينها على الرغم من اضطهاده ومحاربته على ما قدم لهذا العلم.

ولذا: لم تكن الحضاراتان اللتان أحاطتا بأهل مكه في الشمال والجنوب وما تناقل إليها من أخبار الأكاسره والقياصره هما اللتين أنشأتا التاريخ عند العرب ولا سيما العرب المسلمين، بل ما زخر به القرآن الكريم والعترہ النبویه من ماده لهذا العلم حرکه، وستنا، ووعيا، وتطورا، هو السبب الأول وال المباشر لنشأة التاريخ عند العرب وتطوره.

١- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، ج ٢، ص ٥٠، ح ١٥٦.

المُسَأْلَةُ الرَّابِعَةُ: بَيَانُ الدُّورِ الإِرْشَادِيِّ فِي السُّنْنِ التَّارِيْخِيَّةِ

اشاره

إنَّ بَيَانَ الدُّورِ الإِرْشَادِيِّ لِهَذِهِ السُّنْنِ فِي إِصْلَاحِ الْمُجَمَّعِ الْمُسْلِمِ وَهِيَ الْمِيزَةُ الرَّابِعَةُ فِي نَظَرَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السُّنْنِ التَّارِيْخِيَّةِ يُرْكِزُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى هَذَا الدُّورِ الْفَعَالِ وَمَا لَهُ مِنْ أَثْرٍ عَمِيقٍ عَلَى النَّفْسِ، وَهِيَ تَنْظُرٌ فِي عَاقِبَةِ تُلْكَ الْأَمَمِ السَّابِقَةِ وَمَا آتَتْ إِلَيْهِ مِنْ رُقْيٍ وَتَدْهُورٍ وَرُفْعَهُ وَدُنْوٍ، بَلْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَهُ أَفْرَادُهَا.

وَالدُّورُ الإِرْشَادِيُّ لِلْسُّنْنِ التَّارِيْخِيَّةِ عِنْدَ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَبَلُّوْرُ فِي مُحَوْرَيْنَ، عَامٌ لِلنَّاسِ وَخَاصٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ.

مُحَوْرًا لِدُورِ الإِرْشادِيِّ:

المحور الأول: المحور الإرشادي العام

فِي هَذَا الْمُحَوْرَ يُرْكِزُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى أَسْلُوبَيْنِ، وَهُمَا (أَسْلُوبُ الْاعْتِبَارِ، وَأَسْلُوبُ التَّحْذِيرِ). فَفِي الْأَسْلُوبِ الْأَوَّلِ يَرْشِدُ النَّاسَ إِلَى الْإِصْلَاحِ مِنْ خَلَالِ اخْتِيَارِهِ بَعْضِ الشَّوَاهِدِ التَّارِيْخِيَّةِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْإِمَامَ أَخْتَارَ هَذَا الْأَسْلُوبَ الْإِرْشَادِيَّ إِلَى طَبْقَهِ خَاصَّهُ مِنَ الْمُجَمَّعِ وَهُمُ الْعُقَلَاءُ، فَهُمُ الْأَوْفَقُ لِفَهْمِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الْإِرْشَادِ، وَهُوَ الْاعْتِبَارُ.

فَيَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«فَمَا عَسَتُرُوا بِمَا أَصَيَّا بَابَ الْأُمَمِ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَّاتِهِ، وَاتَّعَظُوا بِمَثَاوِي حُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبِيرِ كَمَا تَشَيَّعِذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَصَ اللَّهُ فِي الْكِبِيرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَصَ فِيهِ لِخَاصَّهِ»

أَنْبِيَاءَهُ وَأَوْلَيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابِرُ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعُ؛ فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعِفِينَ، قَدِ اخْتَبَرُهُمُ اللَّهُ بِالْمُخْصَصِهِ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمُجْهَدِهِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمُخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ.

فَلَا تَعْتَرُوا الرَّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ بِجَهْلِ لِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالإِخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغَنَى وَالْإِقْتِدارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

((أَيْحَسْبُونَ أَنَّمَا نُمْدِهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ (٥٥) نُسَارُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ))^(١).

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَحْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكِبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلَيَائِهِ الْمُسْتَضْعِفِينَ فِي أَعْنِيَهِمْ^(٢).

«وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَنْهُمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصَمُ، فَشَرَطَ لَهُ إِنْ أَشْلَمَ بَقَاءً مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزَّهِ.

فَقَالَ:

أَلَا تَعْجِبُونَ مِنْ هَيْدَيْنِ يَسْرِ طَانِ لِي دَوَامَ الْعِزَّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلُّ، فَهَلَّا أُلْقَى عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَهُ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمِيعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ.

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لَأَنْبِيَاءَهُ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبِانِ

١- سورة المؤمنون، الآية: ٥٥ و ٥٦.

٢- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، الخطبه القاسمه في ذم الكبر، ج ٢، ص ١٤٣، خ ١٩٢. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: باب ٣١، ج ١٤، ص ٤٦٨، خ ٣٧.

وَمَعَادِنَ الْعِقَيْانِ، وَمَعَارِسَ الْجِنَانِ؛ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طَيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الْأَرْضِيَنَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسِقَطَ الْبَلَاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ،
وَاضْسَمَ حَلَّتِ الْأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ، وَلَا اسْتَحْقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَرِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا»^(١).

وفي الأسلوب الإرشادي التحذيري يتوجه الإمام على عليه السلام إلى طبقات المجتمع كافة ويدعوهم جميعاً ولا سيما العقلاء إلى التفكير في أحوال تلك الأمم السابقة، فيقول:

«وَاحْذَرُوا مَا تَرَلَ بِالْأَمْمَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمُثَلَّاتِ بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَخْوَاهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ، فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَرِمَتِ الْعَزَّةَ بِهِ شَانِهِمْ، وَرَاحَتِ الْأَعْيَادُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَانْفَادَتِ النَّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَثَلَهُمْ، وَاللُّزُومُ لِلْأَنْفَهِ، وَالتَّحَاضُّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا.

وَاجْتَبَيْوَا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنْتَهِمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُّ الرُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي»^(٢).

١- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: خطب الإمام، الخطبه القاسمه في ذم الكبر، ج ٢، ص ١٤٤، ١٤٥، خ ١٩٢. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: باب ٤ بعثه موسى وهارون H، ج ١٣، ص ١٤١، خ ٦١. التفسير الصافي للغرض الكاشاني: ج ٤، ص ٣٩٥، سورة الزخرف، الآية ٥٥.

٢- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبه القاسمه، ج ٢، ص ١٥٠، ١٥١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: باب ٣١، ج ١٤، ص ٤٧٢. شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٣، ص ١٦٩.

ويتميز هذا الأسلوب الإرشادي بميزات عده:

١ . الدعوه إلى التفكير بأحوال الأمم السابقه مع بيان فائدته التفكـر.

٢ . وضع منهج سلوكي للمجتمع يرتكز على تلك التجارب التي خاضتها الأمم السابقه لغرض اتباع ما من شأنه أن يحقق العزه؛ واجتناب ما من شأنه أن يؤدي إلى الذله والتهلكه.

٣ . تشخيص الموارد التي تحمل على الفرقه بين أبناء الأمم وتجنب الوقوع فيها كالتضاغن والتشاحن والتدابر والتخاذل.

المحور الثاني: المحور الإرشادي الخاص

وفي المحور الثاني من الدور الإرشادي للسنن التاريخيه، وهو المخصوص بالمؤمنين، يقول عليه السلام:

«وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِيَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلَاءِ أَلَمْ يَكُونُوا أَنْتَلَقَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادَ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَالًا».

اتَّخَذَتُهُمُ الْفَرَاعِنُهُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَعُوهُمُ الْمُرَازِ، فَلَمْ تَبْرِحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلْكَةِ، وَقَهْرِ الْعَلْبَةِ.

حَتَّىٰ إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبَرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحْبَّتِهِ، وَالإِحْتِمَالَ لِلْمُكْرُرِوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلَاءِ فَرْجًا، فَأَبْيَدَ لَهُمُ الْعِزَّةِ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالآمِنَ مَكَانَ الْخُوفِ فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّاماً وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً، وَقَدْ بَلَغُتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذَهَّبِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حِينُّ كَانَتِ الْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَهُ، وَالْأَخْوَاءُ مُؤْتَلَفَهُ، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَهُ، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَهُ، وَالسُّيُوفُ مُتَاصِرَهُ، وَالْبَصَائرُ

نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِيَّنَ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ، فَانْظَرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَ الْأَلْفَهُ، وَاخْتَافَتِ الْكَلِمَهُ وَالْأَفْئَدَهُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِّينَ، وَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَصَارَهِ نِعْمَتِهِ، وَبَقَى قَصْصُ أَخْبَارِهِمْ فِيْكُمْ، عَبْرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ»^(١).

ونلاحظ في هذا النموذج من الخطاب أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد استخدم في الدور الإرشادي مع المؤمنين أسلوب الحث على التدبر في السنن التي جرت في الأمم السابقة والنظر في أحوال المؤمنين فيها؛ وهو المنهاج الذي يدعو إليه القرآن، قال سبحانه:

((وَلَقَدْ كُذِّبْتُ رُسُلِّي مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصِيرُنَا وَلَا مُبِدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ))^(٢)

إذن؛ حظيت حركة التاريخ وسنته باهتمام كبير عند أمير المؤمنين على عليه السلام مما انعكس بشكل ملحوظ وفعال على الوعي التاريخي عند العرب، وكان أحد العوامل التي دفعت بهذا العلم إلى التطور والنهوض وهو الأمر الذي أدى ثماره في ظهور شخصيات إسلامية تصدرت الكتابة عن التاريخ حركة وسنتها ووعيا وتدوينا.

ولو أردنا أن نتبع بقيه الشواهد في خطب الإمام على عليه السلام لرصد حركة التاريخ وسنته لاحتاج البحث إلى جهد أكبر في حين وجدنا فيما استشهدنا به كفايه لتكوين صوره عن أثر مدرسه أهل البيت عليهم السلام في حركة التاريخ وسنته وتطوره.

١- نهج البلاغه للإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: ج ٢، ص ١٥١.

٢- سورة الأنعام، الآيه: ٣٤.

الفصل الخامس: حركه التاريخ وسننه عند فاطمه الزهراء عليها السلام وأثر ذلك على الوعي التاريخي وتدوينه

اشاره

من الروايد الذى نمت على منهله جذور علم التاريخ فانتشى واقفًا يلقى بأعصابه على خواص أهل هذا العلم، فأناخوا فى ساحته ركابهم وحطوا بجواره قرطاسهم ودواتهم؛ هو رايد كلمات البعض النبوية فاطمه الزهراء عليها السلام الذى أحدث نقله نوعيه فى دفع حركة التاريخ الإسلامى وتدوينه.

إلا أن الفارق الذى يفترق به رواد مدرسه أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم من رواد المدارس الأخرى، أن رواد هذه المدرسة حينما كتبوا الحدث التاريخي كانت كتابتهم محاطة بالوعى والنقد والتحليل والواقعيه والأمانه لجميع ما سارت عليه الأمة سواء كان يرضى أصحاب الحدث أم لم يرضهم.

ولذلك نجد أن جهابذه هذا العلم حوربوا أشد المحاربه واضطهدوا وشردوا ونفوا عن مدینه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فضلاً عن ذلك فإن طلاب هذه المدرسة المحمدية امتازوا أيضًا بتدوين الحدث وتصنيفه وتوثيقه قبل غيرهم سواء من التفت من المؤرخين إلى تدوين بعض ما يتعلق بسيره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كـ: (سعید بن سعد بن عباده الانصارى)^(١) أم من دون التاريخ الحولى كـ ابن جریر الطبرى^(٢) وغيره.

١- تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٦٥.

٢- تاريخ التراث العربى: ج ٢، ص ١٥٩.

ومن هنا: نجد معظم الكتابات فى هذا العلم أو الدراسات التى كتبت عنه تجنبت الخوض فى مصنفات طلاب هذه المدرسه كـ: كتاب سليم بن قيس الهلالى أو حتى الإشاره إليه، ناهيك عن اتهمهم بالطائفه والتحزب لعلى عليه الصلاه والسلام، وકأنه لم يكن أحد أركان هذا التاريخ الإسلامى والعربي.

والسبب فى ذلك كله يعود إلى كتابتهم التاريخ بوعى وأمانه وعدم انحياز للأهواء والأغراض السياسية، فكانت حياتهم فى خطر مستمر وتشريد وغربه.

المبحث الأول: حركة التاريخ عند فاطمة الزهراء عليها السلام

المسئلة الأولى: تشخيصها عليها السلام لبدء حركة التاريخ

تمتاز بضעה النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن سبقها وعمن لحقها فى بيانها لحركة التاريخ بأنها عليها السلام تفرد بتشخيص نقطه انطلاق النشأه والتكون للخلق وتحديدها، بمعنى آخر جميع الذين تحدثوا عن تاريخ الأمم والشعوب ولم يتوسعوا فى هذا التصنيف ليشمل جميع أنواع المخلوقات الحيوانية والنباتية والجمادات؛ لأن كل هذه الأجناس لها تاريخ فى نشوئها وموطن خلقها ووجودها.

إلا أن سيده النساء فاطمه عليها السلام حينما قدمت الحركة التاريخيه ابتدأت من النقطه الأولى التي خلق الله تعالى فيها الأشياء.

فمن هذه اللحظه تبدأ حركة التاريخ عند البعضه النبويه عليها السلام؛ وهو الأمر الذى لم يرد حتى في ظاهر آيات القرآن الكريم؛ أما باطن القرآن ففيه علم كل شيء.

قال تعالى:

((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمَا تَأْتَنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِنَّكُمْ عَالِمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَرٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ))[\(١\)](#).

وهذا الغيب الذي جمع الله فيه العلوم بحيث لا يعزب عنه عز شأنه مثقال ذره في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، قد جمعه الله تعالى أى هذا العلم في إمام مبين.

قال تعالى:

((إِنَّا نَحْنُ نُحْمِي الْمُؤْمِنَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَخْصَصْنَاهُ فِي إِقْامٍ مُّبِينٍ))[\(٢\)](#).

فكيف بمن كانت حجه الله على الأئمه[\(٣\)](#).

ولذا:

حينما بدأت بضعه النبي الأعظم صلى الله عليه وآلـه وسلم بالحديث عن الحركة التاريخية للوجود بدأتها من الخلق الأول والنساء الأولى للأشياء.

١- سورة سباء، الآية: ٣.

٢- سورة يس، الآية: ١٢.

٣- قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «نحن حجاج الله على الخلائق، وأمنا فاطمة حجه الله علينا». «الأسرار الفاطمية» للمسعودي: ص ١٧، نقلًا عن تفسير أطیب البيان: ج ١٣، ص ٢٢٦.

فقالت عليها السلام:

«ابتداع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثله امثلاها، كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجه منه إلى تكوينها، ولا فائد له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، وإظهارا لقدرته، تعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذياده لعباده من نعمته، وحياشه لهم إلى جنته»^(١).

وهنا: لم تُظهر فاطمه عليها السلام الحركة التاريخية لخلق الأشياء وبده تكوينها وإنما تلحق هذا البيان بإجراء الله تعالى لسننه التي جعلها في الخلق، والعله التي لأجلها خلقتهم؛ ولذا تضع في هذا البيان الموجز العله والمقدمه والتبيجه مجموعه كلها في بيان هذه الحركة التاريخية لوجود الخلق. فكانت العله في خلق الله تعالى للخلق هي:

١. تثبيتاً لحكمته.

٢. تنبيها على طاعته.

٣. إظهاراً لقدرته.

٤. تعبداً لبريته.

٥. إعزازاً لدعوته.

والحكم في جعله عز شأنه الثواب على الطاعة، ووضعه العقاب على المعصيه هي:

١- كتاب الاحتجاج للطبرسي، خطبه الزهراء صلوات الله وسلامه عليها: ج ١، ص ١٣٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج ٢٩، ص ٢٢١، الباب ١١. بلاغات النساء لابن طيفور: ص ١٥.

١ . ذيادة، أى دفعاً لعباده تعالى عن نقمته.

٢ . حياشة، أى يجمعهم ويسوّقهم إلى جنته.

أما جعله عز وجل للسنن التاريخية في سير هذا الخلق، فكان يرتكز على ستّين:

السنه الأولى: طاعه الله تحقق الثواب.

السنه الثانية: معصيه الله تتحقق العقاب.

المسئله الثانيه: تحديد حركه تاريخ النبوه

مثلاً تميزت الحركة التاريخية للخلق عند سيده نساء العالمين عليها السلام كذلك الحال في بيانها الحركة التاريخية للنبوة، فقد أظهرت عليها السلام النقطه الأولى لانطلاق النبوه مع بيان العله في وجودها وما يرافقها من سنن وما يتبعها من نتائج وما سبقها من مقدمات، ظهرت آثارها في الأمم التي بعثت فيها الأنبياء، فتقول عليها السلام:

«وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابعثه، إذ الخلاق بالغيب مكونه، وبستر الأهاويل مصونه، وبنهايه العدم مقرونه؛ علما من الله تعالى بما يلي الأمور، وإحاطه بحوادث الدهور، ومعرفه بمواقع المقدور.

ابعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمه على إمضاء حكمه، وإنفاذًا لمقادير حتمه»^(١).

وهنا تبدأ سيده نساء العالمين عليها السلام في تحديد نقطه انطلاق الحركة التاريخية للنبوة، والتي تميز بمميزات منها:

١- الاحتجاج للطبرسي، خطبه الزهراء صلوات الله وسلامه عليها: ج ١، ص ١٣٣.

١ . إنَّ الله تعالى خلق الخليفة قبل الخليقه، بمعنى قدم خلق النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قبل خلق الخلائق بزمن لا يعلم مقداره إِلَّا الله تعالى ورسول الله وعترته عليهم السلام.

وهو ما عبرت عنه بقولها عليها السلام:

«اختاره قبل أن أرسله، وسماه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابعثه».

٢ . تقديم الحركة التاريخية للنبوة على الحركة التاريخية للخلق بثلاث مراحل زمنية:

المرحلة الأولى: مرحلة مكنون الغيب، وهي أولى المراحل لحركة تاريخ الخلق حيث كانت الخلائق في مكنون الغيب فلا يعلم أين كانت إِلَّا الله تعالى.

المرحلة الثانية: مرحلة ستر الأهاويل، أي: أن هذه الخلائق كانت محاطة بستر يمنعها من الظهور، والهول: هو الفزع، فيكون الفزع هو الذي يصونها، أي يحفظها.

المرحلة الثالثة: مرحلة إقرار العدم، أي أن هذه الخلائق لو لا بعث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لكانت معذومة من نعمه الظهور والفوز بالخلود بالجنة نتيجة للطاعة وتجنبًا للمعصية.

٣ . بيان العلة في تقديم حركة تاريخ الخليفة، أي: النبوة على حركة تاريخ الخليقه هو لما يلى:

أ . علم الله تعالى بما تؤول إليه الأمور.

ب . إحاطته عز وجل بحوادث الدهور، أي الأزمنة.

ج . معرفته تعالى بمواعق المقدور، وفي روايه بمواعق الأمور.

فهذه الأسباب كانت وراء تقديم حرركه تاريخ النبوه على حرركه الخليفة قبل الخليقه.

٤ . إن الحكمه في بعث النبي الأعظم صلی الله عليه وآلہ وسلم كانت فيما يلى:

أ . إتمام لأمر الله تعالى.

ب . عزيمه على إمضاء حكمه الله تعالى.

ج . وإنفاذ لمقادير حتم الله تعالى.

وعليه؛

يظهر مما تقدم فوائد تحديد سيده النساء عليها السلام لنقطه انطلاق الحرركه التاريخيه للنبوه.

المسئله الثالثه: وقائع الحرركه التاريخيه للأمميه

ثم تتعطف سيده النساء عليها السلام بعد بيانها لبدء الحرركه التاريخيه للأمميه من خلال سير الرساله المحمدية في الأمم، فتسجل الحرركه التاريخيه للنبوه ما رأته من وقائع في الأمم السابقة.

فقالت عليها السلام:

«فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابده لأوثانها، منكره الله مع عرفانها»^(١).

١- الاحتجاج للطبرسي، خطبه الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٣٣. الانتصار للعاملي: ج ٧، ص ٣٦٨.

بمعنى:

أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أثناء الحر كه التاریخيه لنبوته رأى أربع وقائع في الأمم السابقة.

وهي الآتي:

الواقعه التاريخيه الأولى: أن هذه الأمم متفرقه في أديانها، بمعنى أن كل أبناء ملته واحده ودين واحد متفرقون في دينهم.

الواقعه التاريخيه الثانية: أنّ هذه الأمم عكفت على عباده النيران.

الله أقعه النار بخمه الثالثة: أنها تعد الأوثان.

الواقعه التاريخيه الرابعه: أنها منكره لله مع عرفانها بالخالق عز وجل وهذا أعلى مراتب الجحود.

و علیه:

كيف كان عمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إصلاح هذه الأمم؟.

قالت عليها السلام:

«أنصار الله بآبى محمد صلی الله عليه وآلہ وسلم ظلمھا، وكشف عن القلوب بهمھا، وجلا- عن الأبصر غممھا، وقام فى الناس بالهدایة، فأنقذھم من الغوايہ، وبصرھم من العمایہ، وھداھم إلى الدين القوییم، ودعاهم إلى الطريق المستقیم» (١).

وهنا: بيان لإنجازات النبّوة المحمدية في حركتها التاريخية الأممية؛ بمعنى: أنّ النبّي الأعظم صلى الله عليه وآلـه وسلـم حينما تقدـم خلقـه على خلقـ الأمـم فـكانت حـرـكـة تاريخـ

^١- الاحتجاج للطبرسي، خطبه الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٣٣.

النبوه أقدم من حركه تاريخ الأمم لزم ذلك أن يكون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد شاهد سلوك تلك الأمممنذ أن قدر الله تعالى لها العيش على هذه الأرض واختلاف أزمانها وتتنوع أجناسها وألوانها وألسنتها وأنبيائها الذين بعثهم الله تعالى إليها.

وهو ما دلّ عليه القرآن الكريم بقوله تعالى:

((فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هُؤُلَاءِ شَهِيدًا)) (١).

إذن؟

اقضت الحركه التاريخيه النبويه أن تكون شاهده على الحركه التاريخيه الأمميه ومدونه للواقع التاريخيه التي وقعت في الأمم السابقة.

«فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابده لأوثانها، منكره الله مع عرفانها فأنار الله بأبى محمد صلى الله عليه وآله ظلمها، وكشف عن القلوب بهمها، وجلا عن الأ بصار غممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العمایه، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله إليه قبض رأفه و اختيار، ورغبه وإيثار، فمحمد صلى الله عليه وآلہ من تعب هذه الدار في راحه، قد حف بالملائكة الأبرار، ورضاون رب الغفار، ومجاوره الملك الجبار، صلى الله عليه أبى نبیه، وأمینه، وخیرته من الخلق وصفیه، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته».

المُسَأْلَةُ الرَّابِعَةُ: حَرْكَهُ تَارِيَخِ الْعَرَبِ قَبْلِ الْإِسْلَامِ فِي نَظَرِ سَيِّدِ النِّسَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ

كثُرت الدراسات حول تاريخ العرب قبل الإسلام وبيان الجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية لهم، وتشابهت هذه الدراسات قديماً وحديثاً في بيانها للوضع المزري لهم على هذه الأصعدة دون التركيز على دور الرسالة المحمدية وجهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وجهاده في نقل هذه الأمة من الحضيض إلى القمة، ومن الهمجية إلى التمدن والحداثة.

وإذا أرادت بعض هذه الدراسات الحديث عن ذلك فإنها تمرّ عليه مروراً عابراً.

في حين أننا نجد أن بضمّه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما تتحدث عن حركة تاريخ العرب قبل الإسلام وتبيّن الجوانب الاجتماعية والثقافية والعقائدية لهم تتبعها بالتغيير الجذري لسلوك هذه الأمة وحركتها من خلال دور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا البناء الجديد للأمة.

فتقول عليها السلام:

«وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرٍ مِّنَ النَّارِ، مَذْقَهُ الشَّارِبِ، وَنَهْزَهُ الطَّامِعِ، وَقَبْسَهُ الْعَجَلَانِ، وَمَوْطَئُ الْأَقْدَامِ، تَشَرِّبُونَ الْطَّرَقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْقَدَدَ وَالْوَرَقَ، أَذْلَهُ خَاسِئِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفُوكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَبْيَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»^(١).

١- شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي، خطبه الزهراء عليها السلام: ج ٣، ص ٣٥. الاحتجاج للطبرسي، خطبه الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٣٥ و ١٣٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٣٦، خ ٩.

ورصدها عليها السلام للحياة التي كان عليها العرب قبل الإسلام كان مبنياً على الأسس البنائية للمجتمع العربي بحيث إن هذا البناء المتأكل والمتصدع أوشك على السقوط والانهيار.

والزهاء عليها السلام حينما تستعرض الحاله العامه لتاريخ العرب تجمع فيما بين الحياة الدنيويه والأخريوه بجعل المقدمات التي كانت سبباً في إيجاد الخليقه هي خاضعه ومرتبه بالنتائج التي سنها الله تبارك وتعالى في سلوك هذه الخليقه، ولذا قالت: (وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حَفْرِهِ مِنَ النَّارِ) أى إشاره إلى تحقيق نتیجه هذا السلوك في الآخره مع تحقق نتيجته في الحياة الدنيا.

ثم تعطف عليها السلام إلى بيان الوضع النفسي العام لهذه الأمة، وهذه خصوصيه خاصه إذ اعتادت الدراسات على تشخيص الحاله النفسيه منفرده لكل شخص في المجتمعات، أو انها تهمل دراسه الحاله النفسيه للمجتمع ككل، لكن الزهاء عليها السلام تتحدث عن الوضع النفسي العام الذي أصبح عليه العرب قبل الإسلام، وهى بذلك تعطى بياناً للمستوى الذي يشتراك فيه الجميع كنتيجه طبيعيه لتوحد الجميع في السلوكيات الفردية فأصبح سلوكاً جماعياً واحداً عند الجميع.

وهو ما أشار إليه قوله تعالى:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)).^(١)

أى أصبح الجميع على سلوك واحد، وهو الأمر الذي أشارت إليه عليها السلام في بيانها لصفات هذا السلوك الجماعي، وهي «مدقه الشارب، ونهذه الطامع، وقبسه العجلان، وموطئ الأقدام».

فهنا تحدد السيده فاطمه الزهراء عليها السلام أربع صفات خاصه بالمستوى النفسي للعرب وهى بمجموعها تدلل على الانهيار والخوف، والمذله، بحيث أصبحوا بفعل هذه الحاله (مذقه الشارب) أى: استلذاذ الآخرين بهم، لأن المذقه هي (الشربه من اللبن الممزوج بالماء)^(١).

و(نهزه الطامع)، أى: أصبحوا من الضعف فرشه لكل طامع وغنيمه يغتنمها الطماع^(٢).

و(قبسه العجلان) وهنا تعطى صوره أخرى للمستوى الذي بلغ إليه العرب من الضعف بحيث كانوا حتى بالنسبة للسبعين الذي ليس له رغبه في السلب، أن يأخذ منهم أى شيء فذاك أفضل من أن يفوته كل شيء، وما ذاك إلا لشده ضعفهم وتشتت أمرهم.

وهذه الصفة لها بيان آخر: وهو أنهم أصبحوا نهباً لكل من مرّ بهم، وأن هذا النهب والسلب كان سريعاً، لأن القبس هو شعله من النار، والعجلان اسم سمي به شهر شعبان لقصر الصيام فيه ولا نقضائه سريعاً^(٣).

ومن كان هذا حالهم، فهم موطن الأقدام يسحقون كما تسحق الهوام، أذله خاسئين يخافون أن يتخطفهم الذين من حولهم من الفرس والروم، وهم الذين أشارت إليهم بلفظ الناس فيقودونهم عيدها رجالاً ونساءً.

١- مجمع البحرين للطريحي: ج ٥، ص ٢٣٥.

٢- انظر: لسان العرب لابن منظور: ج ٥، ص ٤٢١، ماده (نهز). كتاب العين للفراهيدي: ج ٤، ص ١٥.

٣- انظر لسان العرب لابن منظور: ماده (عجل) ج ١١، ص ٤٢٦ و ٤٢٩. وانظر منه ماده (قبس) ج ٦، ص ١٩٧.

وعليه؛ كيف ستقوم لهم قائمه؟، بل كيف يمكن أن يدفعوا عن أنفسهم الذل والمهانه والهوان وهم هذا حالهم؟!.

وهم مع هذا الضعف والذل كانوا يعيشون بطريقه همجيه أقرب ما تكون حيوانيه نتيجه لتفشى الجهل والفقر والذل، فطبعهم ليست طباعاً بشريه، فقد كانوا يأكلون (القد)^(١) وهي جلود الحيوانات! ويشربون الطّرق^(٢).

أى: ماء السماء الذى يتجمع فى حفر صغيره فتبول به الإبل وتبصر!، بمعنى: أن حتى هذه الحيوانات لا تشرب من هذه الحفر، فأى مستوى من التردى والانحطاط على المستويات النفسية والاجتماعيه والثقافيه كافه كان حال العرب قبل الإسلام.

ولذلك:

بعد هذا البيان لتاريخهم اتبعته عليها السلام بيان آخر وهو أن الحياة الكريمه التى أصبحوا عليها بعد مرور ثلاث وعشرين سنة، وهى الفتره الزمنيه التى عاشها النبي الأعظم بعدبعثه كان السبب الأول فيها هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا قالت:

(أنقذكم الله بأبى محمد صلى الله عليه وآلہ وسلم).

لكن كيف كانت عمليه الإنقاذ هذه؟! سؤال تجيب عليه سيده النساء فاطمهعليها السلام ببيان آخر تعرض فيه تاريخ حرکه السيره النبویه.

١- انظر لسان العرب لابن منظور: ماده (قدر) ج ٣، ص ٣٤٤.

٢- لسان العرب لابن منظور: ماده (طرق).

المسئلہ الخامسة: بیان إنجازات النبوه فی حرکتها التاریخیه

اشارہ

من الملاحظات التي لوحظت في عرض السيده فاطمه عليها السلام لحركه التاريخ هو تتبعها بشكل دقيق لمراحل تطور البشرية، أى: أنها تمزج في هذا العرض عامل الزمن كمصدق لفرد الحركه مع عامل التاريخ الذي يكون مصداقا للحدث.

وهنا: تقوم بضعه النبي الأعظم عليها السلام بعرض الحركه التاريخيه للسيره النبویه في ثلاثة محاور.

المحور الأول لهذه الحركه التاريخيه يتمثل في شخص النبي الأعظم صلی الله عليه وآلہ وسلم.

المحور الثاني لهذه الحركه التاريخيه يتمثل في عمل النبي الأعظم صلی الله عليه وآلہ وسلم.

المحور الثالث لهذه الحركه التاريخيه يتمثل في النتائج التي حققها النبي الأعظم صلی الله عليه وآلہ وسلم.

محاور حركه تاريخ النبوه:

المحور الأول

تبدأ عليها السلام في بيان هذا المحور بقوله تعالى:

((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))^(١).

والآيه تبين ثلاثةً من صفات النبي الأكرم صلی الله عليه وآلہ وسلم:

الأولى: «علاقته صلی الله عليه وآلہ وسلم بأمته».

والثانية: «صفاته الشخصيه فهو عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم».

١- سوره التوبه، الآيه: ١٢٨.

والثالثة: «إنه عربي ومن قريش».

وهذا بحد ذاته يعطيهم زخماً نفسياً ومعنىـياً؛ ثم تنطلق بعد هذه الآية فتقول:

«فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم ولنعم المعزى إلـيـه صـلـى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلم»^(١).

لأن النبي الأعظم صـلـى الله عـلـيـه وآلـه وـسـلم هو الذى أنقذـهـمـ منـ الـهـلاـكـ والـمـوـتـ والـانـدـثـارـ، لـذـاـ قـالـتـ عـلـيـهاـ السـلـامـ تـجـدـوـهـ أـبـىـ دونـ نـسـاءـ كـمـ.

هنا: بيان لحفظ هذا الشخص الذى أنقذـهـمـ منـ خـلـالـ حـفـظـ اـبـتـهـ، وـأـنـ لـهـ خـصـوصـيـهـ خـاصـهـ بـهـذـهـ الـكـيـنـونـيـهـ.

وـأـنـ اـبـنـ عـمـهـاـ عـلـىـ بـنـ أـبـىـ طـالـبـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـهـوـ زـوـجـهـاـ لـهـ دـوـنـهـمـ مـثـلـ مـاـ لـهـ مـنـ خـصـوصـيـهـ الـمـرـتـبـهـ بـشـخـصـ هـذـاـ رـجـلـ الـذـىـ

أـنـقـذـهـمـ مـنـ الـهـلاـكـ والـمـوـتـ والـانـدـثـارـ.

لـكـنـهـاـ وـجـدـتـهـمـ قـدـ أـخـلـواـ بـهـذـاـ الجـانـبـ خـلـلـاـ شـدـيـداـ؛ وـلـذـاـ قـالـتـ: (ولنعم المعزى إلـيـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ) وـهـىـ فـىـ نـفـسـ

الـوقـتـ قـدـ لـوـحـتـ فـىـ هـذـاـ الـمحـورـ بـتـحـرـكـ السـنـنـ التـارـيـخـيـهـ التـىـ جـرـتـ فـىـ الـأـمـمـ السـابـقـهـ كـمـ سـيـمـرـ بـيـانـهـ.

المحور الثاني

وفـىـ الـمـحـورـ الثـانـىـ فـىـ عـرـضـهـاـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ لـلـحـرـكـهـ التـارـيـخـيـهـ لـلـسـيـرـهـ النـبـويـهـ تـقـومـ عـلـيـهـاـ السـلـامـ بـبـيـانـ الـعـلـمـ الـذـىـ قـامـ بـهـ الـنـبـىـ

الـأـعـظـمـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلمـ، فـتـقـولـ:

«فـلـغـ الرـسـالـهـ، صـادـعـاـ بـالـنـذـارـهـ، مـائـلاـ عـنـ مـدـرـجـهـ(٢)ـ المـشـرـكـينـ،

١- الاحتجاج للطبرسي، خطبه الزهراء عليهـاـ السـلـامـ: جـ ١ـ، صـ ١٣٤ـ وـ ١٣٥ـ.

٢- المدرجـهـ، الطـرـيقـ: مـعـظـمـهـ وـسـتـنـهـ. لـسانـ الـعـربـ: مـادـهـ (دـرـجـ)، جـ ٢ـ، صـ ٢٦٧ـ.

ضاربا ثجهم^(١)، آخذنا بأكظامهم^(٢)، داعيا إلى سيل ربه بالحكمه والموعظه الحسنة، يجف الأصنام^(٣)، وينكت الهام^(٤)، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر^(٥).

المحور الثالث

ثم بعد إيرادها لما قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من عمل انعطفت عليها السلام على إيراد النتائج، فقالت:

«حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبّه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيطن^(٦) النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهم بكلمه الإخلاص في نفر من البيض الخماص^(٧)^(٨)».

١- الشيج، ثيج كل شيء: معظمه، ووسطه، وأعلاه، والجمع أثياج (لسان العرب): ماده (ثيج).

٢- الكظيم، المكروب، ويقال: أخذ بكظمه فما يقدر أن يتنفس، أى أخذهم صلى الله عليه وآله وسلم فجعلهم لا يقدرون أن يتنفسوا، أنظر كتاب العين: ماده (كظم)، ج ٥، ص ٣٤٥.

٣- جُفف الطلعه وعاؤها الذي تكون فيه، وجُف الشيء: شخصه. لسان العرب: ماده (جُف).

٤- النكث: هو التفريق، والهام: هو الدماغ، فيكون المعنى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم فرق ما عليه فكرهم الضال المنحرف.

٥- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٦٣.

٦- الوشيط، كأمير: الأتباع والخدم والأحلاف. «تاج العروس، الزبيدي: ج ١٠، ص ٤٩٧».

٧- الخميس، عفيف البطن عن أموال الناس. «لسان العرب: ج ٧، ص ٣٠».

٨- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٦٣.

المُسَأْلَةُ السَّادِسَةُ: حَرْكَةُ تَارِيْخِ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

اشاره

بعد ذكرها عليها السلام لبيان الحركة التاريخية للسيره النبوية وبيان إنجازاتها وجهادها ممثلا في ثلاثة محاور تنتقل بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لبيان الحركة التاريخية لسير الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وحيثما نقف عند معانى هذا البيان، نجد أن الزهراء عليها السلام تحدد مسارين لهذه الحركة التاريخية التي رافقت سير الدعوه النبويه.

المسار الأول: الحركة التاريخية لمسير بعض الصحابة.

المسار الثاني: الحركة التاريخية لمسير أهل البيت عليهم السلام ومعهم نفر من الصحابة.

أولاً: دلالة تحديد الحركة التاريخية لكلا المسارين

ألف إن هذا التحديد في مسار الحركة التاريخية لسير بعض الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يظهر أن هذه الفتره الزمنيه كانت تشهد تجمعين وأن لكل منهما صفاته وإنجازاته وأهدافه.

باء إن هذين المسارين أخذنا بالاستقلال في حركتهما التاريخية بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحيث أصبح لكل منها مدرسته الخاصه به وله اتباعه وتلاميذه الذين ينهلون منه أحكامهم وعقائدهم.

جيم ظهور بعض الخلافات بين أنصار أعمده هذين المسارين في هذه الفتره الزمنيه بسبب اختلاف الرؤى في فهم الرساله المحمدية وطريقه التعايش معها.

دال التباين في إنجازات كلا المسارين في الجهاد الميداني في ساحات الحروب أو الجهاد البنائي في نشوء المجتمع الجديد.

ثانياً: تبیان المسارین فی الحركة التاریخیة

إن من يقرأ التاريخ الإسلامي بعين البصیره والبحث العلمي والموضوعي ليرى بوضوح هذا التبیان لكلا المسارین فی الحركة التاریخیة للسیره النبویه فی أثناء حیاه النبی الأعظم صلی الله علیه وآلہ وسلم.

أما من أنماخ فی رحاب مدرسه العترة الطاھرہ فإنه ليجد الحقائق تتلاًّ دون جهد أو عناء.

لاسيما وهو ينظر فی کلمات بعضه النبی الأعظم صلی الله علیه وآلہ وسلم، وهی تتحدث عن سیر الحركة التاریخیة فی هذه الفترة الزرمنیه من بعث النبی الأکرم صلی الله علیه وآلہ وسلم وإلی يوم وفاته. فتقول علیها السلام:

«وبعد أن منى النبی صلی الله علیه وآلہ وسلم بهم [\(١\)](#) الرجال وذؤبان العرب، ومرده أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشیطان [\(٢\)](#) أو فغرت [\(٣\)](#) فاغرها من المشرکین قذف أخاه فی لهواتها [\(٤\)](#)[\(٥\)](#).

١- بهم الرجال: شجعانهم. (الاحتجاج للطبرسی: ج ١، ص ١٣٦).

٢- نجم: ظهر، وقرن الشیطان: أمته تابعوه. القرن: الروق من الحیوان، موضعه من رأس الإنسان وهو حد الرأس وجانبا. (تاج العروس للزبیدی: ج ١٨، ص ٤٤٣).

٣- فغرفاه: أى فتحه، والفاخره من المشرکین: الطائفه منهم. (الصحاح للجوهري: ج ٢، ص ٧٨٢).

٤- قذف: رمى، واللهوات بالتحريك: جمع لهاء اللحمه فی أقصى شفه الفم. (الصحاح للجوهري: ج ٦، ص ٢٤٨٧).

٥- الاحتجاج للطبرسی: ج ١، ص ١٣٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٤.

قبل أن تُظهر بضعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآلـه وسلم صفات كلا المسارين التاريخيين تبدأ بذكر ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم من جهد وجihad في نشر الإسلام، ثم تعرض بعد هذه المقدمـه حقيقـه كلا المسارين في التعامل مع رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم ودعوـته التي جاء بها.

فتبدأ بذكر الحركة التاريخـيه لمسار أهلـالـبيـت عليهمـالـسلام في هذهـالفـترةـ الزـمنـيهـ منـعـمرـ الرـسـالـهـ المـحـمـدـيـهـ،ـ فـتـقـولـ:

«قذفـأـخـاهـ فـيـلـهـوـاتـهـاـ،ـ فـلـاـ يـنـكـفـئـ(١)ـ حـتـىـ يـطـأـ صـمـاخـهـاـ(٢)ـ بـأـخـمـصـهـ(٣)ـ».

ويـخـمـدـ لـهـبـهـاـ بـسـيفـهـ،ـ مـكـدوـدـاـ(٤)ـ فـيـ ذاتـالـلـهـ،ـ قـرـيبـاـ مـنـ رـسـولـالـلـهـ،ـ سـيـداـ فـيـ أـوـلـيـاءـالـلـهـ،ـ وـأـشـمـ...ـ»ـ(٥)ـ»ـ.

ثم بعد بيانـهاـ للـحـرـكـهـ التـارـيـخـيـهـ لـمسـارـ أـهـلـالـبـيـتـ عـلـيـهـمـ الـسـلامـ مـمـثـلاـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرـهـ بـشـخـصـ عـلـىـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ عـلـيـهـ السـلامـ مـعـ توـصـيـفـ بـلـاغـيـ دقـيقـ فـيـ دـلـالـتـهـ وـبـيـانـهـ لـكـيـفـيـهـ سـلـوكـ الإـلـامـ عـلـىـ عـلـيـهـ السـلامـ فـيـ هـذـهـ الفـتـرـهـ،ـ فـتـبـدـأـ أـوـلـاـ بـبـيـانـ مـنـزـلـتـهـ مـنـ رـسـولـالـلـهـ صلىـالـلـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ وـقـرـابـتـهـ الإـيمـانـيـهـ فـتـخـتـارـ مـنـ تـلـكـ المـنـازـلـ،ـ مـنـزـلـهـ المـؤـاخـاهـ،ـ فـتـقـولـ:ـ «ـقـذـفـأـخـاهـ فـيـلـهـوـاتـهـاـ»ـ.

١ـ يـنـكـفـئـ:ـ يـرـجـعـ فـانـكـفـؤـواـ أـىـ رـجـعواـ.ـ (الـصـاحـاحـ لـلـجوـهـرـيـ:ـ جـ١ـ،ـ صـ٦٧ـ).

٢ـ الصـمـاخـ:ـ فـرقـ الأـذـنـ.ـ (الـصـاحـاحـ لـلـجوـهـرـيـ:ـ جـ١ـ،ـ صـ٤٢٦ـ).

٣ـ الأـخـمـصـ:ـ مـاـ لـاـ يـصـيـبـ الـأـرـضـ مـنـ باـطـنـ الـقـدـمـ.ـ (تـاجـ الـعـرـوـسـ لـلـزـيـدـيـ:ـ جـ٩ـ،ـ صـ٢٧٥ـ).

٤ـ بـئـرـ كـدـودـ،ـ إـذـاـ لـمـ يـنـلـ مـأـوـهاـ إـلـاـ بـجـهـدـ.

٥ـ الـاحـتـجاجـ لـلـطـبـرـيـ:ـ جـ١ـ،ـ صـ١٣٦ـ.ـ بـحـارـ الـأـنـوارـ لـلـعـلـامـ الـمـجـلـسـيـ رـحـمـهـ اللـهـ:ـ جـ٢٩ـ،ـ صـ٢٢٤ـ.

بمعنى: أن رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم حينما كان يرى يقدم المشركون أو المنافقون على إشعال نار الفتنة أو الحرب فإن أول شيء يقوم به النبي صلى الله عليه وآلها وسلم في محاربه لهذا الفساد أن يقذف أخاه علياً في عمق فم الحرب، وهو «اللهاء».

ثانياً: تبيّن سيد النساء عليها السلام في عرضها الحركة لمسار أهل بيته لتعليمهم السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم، أن الواقع التاريخي الذي سجلتها هذه الحركة تمثلت بما يلي:

١. إن الإمام علياً عليه السلام لا يرجع من الحرب «حتى يطأ صماخها بأخصمه»، أي: يطأ وسط رأس هذه الفتنة بباطن قدمه وهو الأخصم.
٢. يحمد لهب هذه النار بسيفه وهو كناية عن قتل رؤساء الفتنة.
٣. مكروحاً، أي مجداً مجتهداً في ذات الله تعالى.
٤. قريباً من رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم لا يفارقها مع وجود رتبة القرابة الإيمانية والرحمة.
٥. سيداً في أولياء الله تعالى.

هذه الواقع التاريخي لمسار حرفة تاريخ أهل بيته عليهم السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم قابلها تسجيل للواقع التاريخي لمسار حرفة تاريخ بعض الصحابة في حياة رسول الله صلى الله عليه وآلها وسلم.

فكان كالتالي:

قالت عليها السلام:

«وأنتم أئم المهاجرين والأنصار في رفاهية من العيش، وادعون

فاكهون آمنون، تربصون بنا الدوائر وتنوكفون^(١) الأخبار وتنكصون^(٢) عند النزال، وتفرون من القتال»^(٣).

فأول هذه الواقع التاريخي هو: انهم كانوا في رفاهية من العيش، أى لم تشغلهم تلك الفتنة التي يشيرها المشركون في المجتمع الإسلامي.

ثانياً: «وادعون» أى أنهم يتذمرون النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيته وتلك الثلة من أصحابه التي وصفتها بالنفر البين الخماص يواجهون الأخطار.

ثالثاً: «فاكهون» قد انصرفوا إلى ملذات المعيشة من الأكل والشراب في حال كان النبي وأهل بيته وأولئك النفر البين الخماص في جهد وجهاد وزهد وكفاف.

رابعاً: «آمنون» لم يشتراكوا في الحروب لا- بأنفسهم ولا- بأهليهم ولا- بأموالهم ولذا هم آمنون بتركهم الجهاد وهم آمنون بفعل اتكلاتهم على جهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ونفر من أصحابه رضى الله عنهم.

خامساً: من الواقع التاريخي لمسير بعض الصحابة انهم كانوا يتربصون بأهل البيت عليهم السلام الدوائر وهذا اللفظ من بضعه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يظهره القرآن في بيانه للواقع التاريخي للمنافقين والأعراب.

١- توقعون أخبار المصائب والفتنة النازلة بنا، التوكف: التوقع، يقال: مازلت أتوكفه حتى لقيته. (الصحاح للجوهرى: ج ٤، ص ١٤٤١).

٢- النكوص: الأحجام عن الشيء، ويقال: نكص على عقبيه، ينكص وينكص، أى رجع. (الصحاح للجوهرى: ج ٣، ص ١٠٦٠).

٣- الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٣٦.

فقال تعالى:

((إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَعْمَالَ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ بِكُمْ إِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَا نَكُونَ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَا نَسْتَحْوِدُ عَلَيْكُمْ وَنَمْتَعُكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سِيلًا)) [\(١\)](#)). [\(٢\)](#)

وقال عز وجل:

((وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَحَدُّدُ مَا يُنْفِقُ مَعْرِمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوءِ وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيهِمْ)) [\(٢\)](#).

سادساً: «وتوكفون الأخبار»، أي: كانوا يتوقعون الأخبار السيئة بأهل البيت عليهم السلام ليفرحوا بها.

سابعاً: «تنكصون عند النزال»، النكوص؛ الإحجام، أو التراجع، أي: كانوا يتراجعون عند النزال فلا يواجهون الخصم بسبب الخوف لكونهم جبناء.

ثامناً: ومن الواقع التاريخي الذي سجلت لأولئك الأعراب انهم كانوا يفرون في القتال، والفرق بين النكوص عند النزال وبين الفرار؛ وان كان السبب في حدوثهما واحداً وهو الخوف والجبن؛ فإن النكوص أو التراجع يكون في المواجهة الفردية شخصاً لشخص والفرار في القتال يكون في الأغلب عند اشتباك القوم جميعاً.

١- سورة النساء، الآية: ١٤٠ ١٤١.

٢- سورة التوبه، الآية: ٩٨.

فعندها لا يميز بين من يقاتل بشجاعه في الوله الأولى على من اختار الفرار وهي فرصه لمن رغب بذلك كى لا يفتضح أمره ويسخنه.

ولذلك:

يعد الفرار أكبر ضرراً من التراجع لما يحدثه من ضرر على الجماعة أو الجيش.

ولذا: عدّ الفرار من الذنوب الكبائر.

هذا التباهي الواضح في الواقع التاريخي لكلا المسارين ألقى بثقله على الحركة التاريخية للإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مما أدى إلى تقديم التاريخ بوجهين مختلفين تكونت ملامحهما في أروقة المدارس التاريخية الإسلامية في المدينة والكوفة والشام، وقد أخذت السياسة الحاكمة من تحديد هذه الحركة التاريخية مأخذأً كبيراً فغيت وقائع وغيرت حقائق لا يسعنا ذكرها [\(١\)](#).

بل: قد تدخلت السلطات الحاكمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل جذري في الحركة التاريخية لكلا المسارين.

وتجدر هنا ونحن ندرس الحركة التاريخية عند بضعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نستوفى ما جاء عنها عليها السلام في بيان هذه الحركة ومراحل تنقلها حسبما وضعته الزهراء عليها السلام من محطات زمنية لهذه الحركة التاريخية التي ابتدأتها من نقطه الانطلاق الأولى لتاريخ خلق الوجود وإلى انتهاء عمر الدنيا، وما ارتبط بهذه الحركة التاريخية من سنن إلهيه رافقت الأمم السابقة وسترافق هذه الأمة.

١- أنظر: الشيعه والسيره النبويه بين التدوين والاضطهاد، للمؤلف. وهي دراسه فى نشأه علم السيره وتطوره خلال القرن الأول والثانى للهجره.

المسئلة السابعة: الحركة التاريخية لل المسلمين بعد وفاة رسول الله عليه وآله وسلم

من المحطات التي عرضت فيها بضعة النبي صلى الله عليه وآلها وسلم الحركة التاريخية الكونية، هي الفترة الزمنية التي أعقبت وفاة رسول الله صلی الله عليه وآلها وسلم والتي توضح فيها حركة تاريخ المسلمين. فنقول عليها السلام:

«فلما اختار الله لنبيه دار أنيائه، وأمأوى أصنفاته، ظهر فيكم حسيكه ^(١) النفاق، وسمل جلباب ^(٢) الدين، ونطق كاظم الغاوين ^(٣)، ونبغ خامل الأقلين ^(٤)، وهدر فيق المبطلين ^(٥)، فخطر في عرصاتكم ^(٦)، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه ^(٧) هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجبيين، وللعزه فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمسكم ^(٨) فألفاكم غضابا فوسّتم غير إبلكم، ووردتكم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يغير، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنة.

- ١- الحسک: ما يعمل من الحديد على مثاله، وهو من آلات العسكرية، قوله: في صدره، على حسيكه وحساكه، أى منغن وعداؤه. (الصحاح للجوهري: ج ٤، ص ١٥٧٩).
- ٢- ثوب واسع أوسع من الخمار ودون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقى منه ما ترسله على مدرها. (مجمع البحرين للطريحي: ج ١، ص ٣٨٤، باب ج).
- ٣- الضالين: غوى، الغي: الضلال والخيبيه.
- ٤- الخامل: من خفى ذكره وكان ساقطا لا نباهه له. (الصحاح للجوهري: ج ٤، ص ١٦٨٩).
- ٥- الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته. (الصحاح للجوهري: ج ٢، ص ٨٥٢). الفنيق: النمل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان. (الصحاح للجوهري: ج ٤، ص ١٥٤٥).
- ٦- خطر البعير بذنبه إذا رفعه مره بعد مره ومزب به فخذليه. (تاج العروس للزيدي: ج ٦، ص ٣٥٧). العرصه: كل بقعة بين الدور واسعه ليس فيها بناء. (الصحاح للجوهري: ج ٣، ص ١٠٤٤).
- ٧- مغرزه: أى ما يختفي فيه تشبيها له بالقنفذ فإنه يطلع رأسه بعد زوال الخوف.
- ٨- أى حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.

((أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقُطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ))[\(١\)](#)[\(٢\)](#).

وهذا البيان الذى تعرض فيه الزهراء عليها السلام سير الحركة التاريخية لل المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تضمن ميزات عده، وهى كما يلى:

أولاً فضلاً عن بيانها عليها السلام للحركة التاريخية لل المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنها تخص ضمناً أول السنن التاريخية وقوعاً لهذه الأمة.

ثانياً إظهار للنتائج التى أعقبت المقدمات وهى الواقع التاريخي لل المسلمين فى هذه الفترة الزمنية.

ثالثاً تحديد دقيق لعامل الزمن الذى بدأت فيه الحركة التاريخية لل المسلمين بمرحلة جديدة، أى: من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حين مواراته فى روضته المقدسة وهى ثمان وأربعون ساعه.

فقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين ثم ووري الثرى ليله الأربعاء^(٣).

فعلى رغم قصر هذه الفترة الزمنية إلاـ أنها شهدت من الواقع التاريخي الشيء كثير؛ فكيف كانت صوره الحركة التاريخية لل المسلمين التى بدأت عجلاتها بالدوران وهى تسجل مرحله جديدة من المسير؟.

١ـ سوره التوبه، الآيه: ٤٩.

٢ـ الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٦ و ١٣٧.

٣ـ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢، ص ٣٠٥.

المسئلة الثامنة: الواقف التاريخي الذي كانت مقدمات للسنن الأئمية

اشارة

تستعرض سيده النساء فاطمة عليها السلام ما حدث من الواقف التاريخي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي تعد مقدمات لوقوع السنن التاريخية التي جرت في الأمم السابقة، فها هي اليوم قد وقعت في أمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فكان نتائجه حتمية لما شهدته المرحلة الأولى من الحركة التاريخية لل المسلمين أثناء حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبادر المسارين فيها، أي مسار أهل البيت لهم السلام مع نفر من الصحابة، يقابلها أصحاب المسار الثاني وهم الأعراب النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

والسبب في حدوث هذين المسارين كما أسلفنا نرده إلى اختلاف الرؤى والفهم والاعتقاد بالنبوة.

تستعرض سيده النساء عليها السلام تكميله لهذا المسار الذي ظهرت مكوناته بصورة مموهة من خلال الواقف التاريخي التي مرت ذكرها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى واقع عنى يضرب بقوه في حركة تاريخ المسلمين مسجلاً فيه عدداً من الواقف التاريخي المتتسارعه الحدوث والتي خلفت آثاراً ونتائج متتسارعه أيضاً، وهي كالتالي:

قالت عليها السلام:

«فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومؤوى أصنفيائه، ظهر فيكم».

فما الذي ظهر في الواقف التاريخي في المسلمين؟.

الواقع التاريخي الأول: «حسكه النفاق، أو حسيكه النفاق»

وهي: الحقد، والعداوه، والبغض، وقد ورد في الحديث الشريف عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«إن الرجل يعطى المرأة حتى يبقى ذلك في نفسه عليها حسيكه»^(١).

أى: حقد.

أى: أن هؤلاء الأعراب قد بلغ النفاق في قلوبهم أعلى درجاته بحيث تحول إلى حقد وعداوه وبغض وهي حقيقة قرآئيه ونبيويه.

أما القرآن الكريم فيقول تعالى:

((فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادُهُمُ اللَّهُ مَرَضًا))^(٢).

وأما النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد أوضح الطبيعة السلوكية للنفاق وارتباطها بالقلب من حيث تعلق حاله الحب والبغض به.

أى: ان الحب والبغض حالتان وجذانيتان ونفسitan من لوازم القلب، فإذا مرض القلب بالبغض بفعل النفاق انعكس ذلك على السلوكيات فيترجم في علاقه المسلم بعلي بن أبي طالب عليه السلام.

قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»^(٣).

١- المصنف للصنعاني، باب: غلاء الصداق، ج ٦، ص ١٧٤.

٢- سورة البقرة، الآية: ١٠.

٣- مسند أحمد بن حنبل، مسند على بن أبي طالب عليه السلام: ج ١، ص ٩٥، سنن الترمذى: ج ٥، ص ٣٠٧.

ولذلك ظهر هذا النفاق بعد أن مليء القلب وسيطر على المشاعر فانقاد الذهن له أن أدى إلى العداوه والحقن، لأن البغض أول مراتب النفاق وهو حاصل من خلال بعض الأعراب والمنافقين للإمام على بن أبي طالب عليه السلام كما ورد في الحديث النبوى.

إذن؟

أول الواقعه التاريخيه ظهوراً في حركه تاريخ المسلمين هي ترجمه النفاق إلى واقع سلوكى شوهد على الأرض من خلال معاداه أهل البيت عليهم السلام.

الواقعه التاريخيه الثانية: «سمل جلباب الدين»

وببيان هذه الواقعه التاريخيه يتحمل بعض الوجوه، وهى كالتالى:

ألف. إن طبيعة المنافق أن يتظاهر بالإيمان ويبطن الكفر، بمعنى تراه حاضراً في مواطن المظاهر الإسلامية كالمساجد والصلاه فيها أو الذهاب إلى بيت الله تعالى لأداء فريضه الحج والعمره وغيرها من المظاهر الإسلامية التي تعد جميعها ثوب الدين وهو الذى عبرت عنه السيده الزهراء عليها السلام بالجلباب.

الا أن الواقعه التاريخيه التى كشفت سلوكيات هؤلاء الأعراب هو تركهم لهذه المظاهر علناً دون أى رادع يردعهم عن ذلك.

وعليه؛ فيكون بيان هذه الواقعه التاريخيه: هو انحسار هذه المظاهر الدينية لدرجه التحريف في الثوب.

الوجه الآخر: أن يكون المعنى من هذه الواقعه التاريخيه هو منع أهل البيت عليهم السلام من القيام بدورهم من كونهم الستر الذى يستتر به المسلم على دينه،

فلا يقع في الضلال والفتن والشبهات، ولذا فهو أصبح اليوم مهتوك الستر ترد عليه الشبهات والفتن فترديه في دينه فيهلك، ويهلك معه دينه.

ومما يدل عليه:

ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام في بيان هذا المعنى.

١ . قال عليه السلام:

«هُدِيَّ مِنْ تَجْلِبَ بِجَلِبابِ الدِّينِ»^(١).

وقطعاً لا يراد بالهدايى الذى يهتدى به الإنسان هو هذه المظاهر التى يشترك فى أدائها المؤمن والمنافق كالصلاه مثلاً.

وإنما الجلب الذى يهتدى من تجلب به هو الولايه لأهل البيت عليهم السلام، كما أوصى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أمهه بذلك قائلاً:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض؛ وأهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي»^(٢).

٢ . في خطبه له عليه السلام يخاطب بها المسلمين لاسيما أولئك الذين تصدوا لتحديد مسار الحركه التاريخيه لبعض الصحابه فيقول:

«سترنى عنكم جلب الدين، وبصّرنيكم صدق اليه»^(٣).

١- عيون الحكم والمواعظ: ص ٥١٢.

٢- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: ج ٣، ص ٤٧٨.

٣- الإرشاد، للمفید: ج ١، ص ٢٥٤؛ الجمل، لابن شدق المدنی: ص ١٥٢؛ البخار: ج ٣٢، ص ٢٣٧.

قال ابن أبي الحديد في بيان معنى هذا الحديث: إن إظهاركم شعار الإسلام عصمكم مني مع علمي باتفاقكم؛ وإنما أبصرت نفاقكم وبواطنكم الخبيثه بصدق نيتى، كما يقال: «المؤمن يبصر بنور الله»^(١).

وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمه عما يجرى من بعده، ولاسيما هذه الواقعه التاريخيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«فأنت أول من تلحقين بي مظلومه مغصوبه، وسوف تظهر بعدى حسيكه النفاق ويسمى جلباب الدين، أنت أول من يرد على الحوض»^(٢).

الواقعه التاريخيه الثالثه: «نطق كاظم الغاويين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين»

يمكن أن نستظهر من خلال هذه الواقعه التاريخيه المتتسارعه فى ظهور السنن التاريخيه الحقائق التالية:

ألف هذه العناوين الثلاثه تدل على تشكل ثلاث مجتمعات فى المجتمع الإسلامى فى حياه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأئذن هذه المجتمعات لها قاده. إلا أن ظهورها على الساحه كان عند وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وهذه المجتمعات هي:

أولاًً: مجموعه الغاويين.

ثانياً: مجموعه الأقلين.

ثالثاً: مجموعه المبطلين.

١- شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: ج ١، ص ٢٠٧.

٢- البحار للمجلسي: ج ٣٦، ص ٢٨٨.

هذه المجموعات الإسلامية تبلورت على العيشي العقائدي لاـ الاجتماعي الخاص بها لضوابط الأحساب والأنساب والفقر والغنى وحدودها، وإنما ارتكزت على العقيدة بالنبوة حركة تاريخية لهذه الأمة بدأت منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا فالحديث يدور حول تشكيل فرق عقائديه ضمن أنماط وسلوكيات خاصة لمفاهيم محدودة في التعاطي مع النبوة ومن اعتقاد بها.

وأن هذه المجموعات أو الفرق الدينية قد لعبت دوراً مميزاً في توجيه الحركة التاريخية للمسلمين، ناهيك عن امتيازها في وضع حجر الأساس بسريان السنن التاريخية في هذه الأمة.

وهو ما أظهرته سيد النساء فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتيها الاحتجاجيتين العامة والخاصة^(١).

باء إنّ أئمّة هذه المجموعات كانوا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأثناء سير الحركة التاريخية للمسلمين في حالة من التخفى والإهمال والازدواج، بل لم يكن لهم ظهور قيادي لهذه المجموعات.

والسبب في ذلك يعود إلى ثلاثة أمور:

١. خوفاً من أن يقدموا على عمل يكشف حقيقة اعتقادهم بالنبوة فلا يستطيعوا بعد ذلك القيام بما يخططون له، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:

١- الخطبه الاحتجاجيه العامه ألقتها سيد النساء فاطمه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جمع من صحابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أمّا خطبتها الاحتجاجية الخاصة فهي التي كانت مع بعض نساء المهاجرين والأنصار قبل وفاتها صلوات الله وسلامه عليها وعلى أبيهما وبعلها وبنيها.

((يَحْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُبَيِّنُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ اشْهِدُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذِرُونَ)) (١١).

وقد أشارت إليه الزهراء عليها السلام في قولها:

«تربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الأخبار».

أى يتبعون الأخبار ويتوقعون حدوث أمر سيئ كى يبادروا إلى ما عزموا عليه وترصدوا له.

٢. إن مكوناتهم النفسية لم تسمح لهم من البروز فهم من حيث التنشئة الاجتماعية قد تربوا على الخمول والنبذ، لم يلاقوا أى اهتمام أو عنایه إما لكونهم أعراباً وإما لأنهم عبيد عند أشراف قريش ووجهائها فهم بتلك التنشئة الاجتماعية مسرعون في الإغواء يتبعون كل باطل. حتى ظهر فيهم من كان أرذلهم بحيث لا يملك القدرة على الإفصاح وهو ما عبرت عنه بضعه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بقولها:

«ونطق كاظم الغاوين».

وهم بفعل هذه المكونات النفسية والنشوية التي جعلت منهم أقل الناس شأنًا لا يستطيعون الحركة أو التعايش مع الناس، فهم في خمول وركود إلا أن رحيل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مكن أحمل هذه المجموعة من النبوغ أى الظهور والبروز بعد أن كان طابعه الكسل وشأنه الضمور والانزواء.

٣. إن الدوافع الشخصية للممثله في السعي من أجل بلوغ السلطة والجلوس في محل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعايشت الإمبراطوريات المعاصره كالرومانيه والفارسيه

دفعت بعض النقوس إلى الادعاء والسعى بأحقيتها بمقام الحاكمية التي كانت لهرم السلطة الدينية الممثلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومن هنا أطلق عليها لفظ الخلافة.

فهؤلاء أسمتهم سيده النساء فاطمه عليها السلام بـ«المبطلين»، ثم شخصت عليها السلام في بيانها لرموز هذه الواقعه التاريخيه صفة قائد هذه المجموعه التي لم تكن تظهر نواياها في حياء رسول الله عليه وآله وسلم إلا أن وفاته كانت سبباً في تجمع هؤلاء ضمن معطيات نفسيه واحده وهي بلوغ السلطة.

إلا أن الذى تمكنت البروز منهم هو «الفنيق»، والفنيق: لغه فحل الإبل، والهدر هو صوت البعير الذى يتلجلج فى عنقه.

ووصفها عليها السلام لقائد المبطلين بهذه الصوره هو لكونه أشدهم حرضاً على بلوغ السلطة والجلوس على سدة الحكم.

وفى صوره أخرى تتحدث عن هذه المرحله التاريخيه وما أعقبتها من آثار ينقلها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى خطابه لأقطاب الجمل، قال عليه السلام:

«بنا اهتديتم في الظلماء، وتسلتم ذرروه العلياء، وبنا انفرجتم عن ...».

إلى قوله:

«من وثق بما لم يظماً»^(١).

لتتشكل هذه الصوره وتلك اللتين نقلهما إلينا على وفاطمه عليها السلام حقيقة الحركة التاريخيه لل المسلمين بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تبعها من وقوع للسنن التاريخيه التي جرت في الأمم السابقة.

١- (الإرشاد للمفید: ج ١، ص ٢٥٤؛ شرح نهج البلاغه للمعتزلي: ج ١، ص ٢٠٧).

المبحث الثاني: السنن التاريخية عند فاطمة الزهراء عليها السلام

اشاره

مثلاً كانت الحر كه التاريخية تحظى باهتمام بضئعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك هو حال السنن التاريخية، فقد ركزت عليها سيده النساء فاطمه عليها السلام متبوعه في ذلك النهج القرآني والنبوي في بيان السنن الإلهية وتوضيحها والتى أجرتها الله } في الأمم السابقة.

وحيث أن هذه الأمة ستسير بعدها لما سارت عليه الأمم السابقة، لاسيما السنن التاريخية التي لحقت بيبي إسرائيل؛ حسبما أوضحه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذه الأمة ستتحذو في سيرها حذو الأمم السابقة؛ بل ستظهر في هذه الأمة بعض السنن التاريخية الجديدة التي لم تقع في الأمم السابقة كسننه قتل أولاد الأنبياء وما أعقبها من نتائج، وغير ذلك من السنن.

المسئلة الأولى: سنن الواقع في الفتنة بين المقدمات والنتائج

حينما تتحدث الزهراء عليها السلام عن هذه السنن التاريخية التي وقع فيها المسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن حديتها مجرد استعراض لهذه السنن أو غيرها، أى لم تكن تتحدث عنها بوصفها حدثاً تاريخياً وقع وانتهى الحال.

وإنما تعطى المقدمات التي تهيأت لهذه السنن والنتائج التي أفرزتها فتبدأ أولاً بذكر مقدمات الواقع في الفتنة، فتقول:

«لما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، وأموي أصنفياته، ظهر فيكم حسيكه النفاق، وسمل جلب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل

الأقلين، وهدر فريق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم»^(١).

هذه المقدمات لتكون الفتنة ونشوئها، اتبعتها الزهراء عليها السلام بيان لتفاعل هذه المقدمات ونموها وتكامل تكوينها، فتقول بعد أن تهيأت المقدمات التي مكنت الشيطان من إخراج رأسه من مخدعه، فتبعه نمو وتكامل ونضوج لفتنته، فتقول عليها السلام:

«وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم، فألفاكم لدعوه مستجيين، وللعزه فيه ملاحظين، ثم استنهضكم»^(٢).

وهنا مرحله أخرى من نضوج الفتنة، وهي استظهار للسلوك العام، فتقول عليها السلام:

«ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمسكم فألفاكم غضابا»^(٣).

أى:

أصبحوا في مرحله النضوج والتكامل الفتني إلى ما قبل الانفجار، وهو أشبه ما يكون بالبركان الذي تجمع تحت قشره الأرض ولم يبق لظهوره سوى وجود فتحه صغيره.

وهذا الحال نفسه انعكس على الواقع الإسلامي في هذه الفتره الزمنيه، فكانت النتيجه ما يلى:

١- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٦ و ١٣٧.

٢- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٦ و ١٣٧.

٣- المصدر السابق.

قالت عليها السلام:

«فوستم غير إيلكم، ووردم غير مشربكم».

أى الواقع فى التيه بعد فتره قصيره جدا من وفاه رسول الله عليه وآلها وسلم، فكيف سيكون حالكم بعد سنين، وأى مستقبل سيكون لكم؛ ولذا قالت:

«هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنه.

((أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهُ بِالْكَافِرِينَ)) [\(١\)](#).

أى: انكم جرت فيكم سنه الواقع في الفتنه كما جرت في الأمم السابقة فهل كانوا فيها.

المسئله الثانيه: سنه تضاعف النتائج

مثلما قدر الله عز وجل في الحياة الدنيا سنه مضاعفه نتائج الأفعال كتيجه تدحرج كره الثلج، أو سريان الموج في المحيطات، أو سريان النار في الغابات، وغيرها من الشواهد التي تتحدث عن هذه السنه الكونيه في مضاعفه النتائج كذلك الحال في السنن التاريخية التي تتحدث عن سلوكيات الأمم والمجتمعات، بل والسلوك الفردي أيضا.

وفي هذه السنن التاريخية تقول الزهراء عليها السلام:

«ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفترتها ويسلس قيادها» [\(٢\)](#).

١- سورة التوبه، الآيه: ٤٩.

٢- الاحتجاج للطبرسي: ج ١. أعيان الشيعه لسيد محسن الأمين: ج ١، ص ٣١٦.

أى: سوف لن يطول الأمر، بل ستتسارعون في مضاعفه نتائج الوقع في الفتنة بزمن قصير كنفره الدابه، ثم يسهل قياده الفتنة في مضاعفه الانحراف فتضاعف النتائج السلبية.

وتمضي عليها السلام في بيان هذه السنة التاريخية فتقول:

«ثُمَّ أَخْذُتُمْ تُورُونَ وَقُدُّتُهَا، وَتَهِيجُونَ جُمْرَتُهَا، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهَتَافِ الشَّيْطَانِ الْغُوْيِّ، وَإِطْفَاءِ أَنُوَارِ الدِّينِ الْجَلِّيِّ، وَإِهْمَالِ سُنَّتِ النَّبِيِّ الصَّفِّيِّ، تُشَرِّبُونَ حَسْوًا فِي ارْتَغَاءٍ، وَتَمْشُونَ لِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمْرِ وَالْبَرَاءَ، وَيَصِيرُ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزْ الْمَدِّيِّ وَوَخْرِ السَّنَانِ فِي الْحَشَاءِ، وَأَنْتُمْ الآنْ تَزَعَّمُونَ: أَنْ لَا إِرْثٌ لَنَا».

((أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) (٢١) (٢٢).

هذا التسارع في مضاعفه النتيجه واتساع دائره أضرارها هي من السنن التاريخيه التي جرت في الأمم السابقة، كقوم لوط الذين تضاعفت نتيجه سلوكهم في الاكتفاء بالرجال إلى تصميهم على أن يخروا لوطاً عليه السلام في ضييفه وهم الملائكة؛ ثم تضاعفت النتيجه فعزموا على إخراج لوط وأهل بيته من قريتهم، قال تعالى:

((وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرِيْتُكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)) (٣).

١- سورة المائدہ، الآیه: ٥٠.

٢- الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٣٧ و ١٣٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٦.

٣- سورة الأعراف، الآیه: ٨٢.

وفي قوم ثمود كانت هذه السنة من أظهر السنن التاريخية؛ إذ من الله { عليهم بآيه بينه وحجه قطعية في كون صالح عليه السلام هو نبي الله قد أرسله إليهم حينما أخرج لهم من الصخرة ناقة يتبعها فصيلها.

فلما تما دى بعض قومه عليه السلام فكذبوا وأنكروا هذه الآية الإلهية والمعجزة الربانية، بدأت هذه السنة التاريخية بالظهور؛ وهي مضاعفه النتيجة فكان انعكاسها على سلوكهم أن عثروا على الناقة وفصيلها، ثم تتضاعف النتيجة وتتسع دائرة أضرارها وانحدارها بأن تحذوا الله ورسوله وطلبو نزول العذاب، اعتقاداً منهم بعدم صدق نبيهم، على الرغم من ظهور الناقة من صخرة صماء ملساء يتبعها فصيلها.

قال تعالى:

((وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوْا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ هَيْدِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَهٗ فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَا خُذْكُمْ عَذَابُ الْيَمِّ)) (١).

((قَالَ الْمَلَائِكَةُ إِنَّا سَمِعْنَا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضْعَفُوا لِمَنْ أَمَّنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧٦) فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ اتَّنَا

بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَحَدَتْهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاهِمِينَ)) [\(١\)](#).

فعلى الرغم من ظهور هذه الآية العظيمه إلاـ أنهم كانوا ينكرون ويستكرون في الأرض ويتمادون في الباطل، وهم لا يدركون أنها سنه كونيه جرت في الماديات، كما تجري في السلوكيات البشرية.

ولذلك تذكرهم الزهراء عليها السلام بأن عندهم آيه الله { ومعجزه النبوه التي تصدتهم عن الضلال والتردى، لكن مقدمات الفتنه كانت قد سرت فيهم لتسارع معها سنه مضاعفه التائج .}

قالت عليها السلام:

«فَهَيَّاهُتْ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفِكُونَ، وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ، أَمْوَارُهُ ظَاهِرَهُ، وَأَحْكَامُهُ زَاهِرَهُ وَأَعْلَامُهُ باهِرَهُ، وَزَوَاجُهُ لَا يَحِهُ، وَأَوْامِرُهُ وَاضْحَهُ، وَقَدْ خَلَفْتُمُوهُ وَرَاءَ ظَهُورِكُمْ. أَرْغَبُهُ عَنْهُ تَرِيدُونَ؟ أَمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ؟ .»

((بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)) [\(٢\)](#) ((وَمَنْ يَتَنَعَّمْ بِغَيْرِ إِلَلَّا مِنْهُ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَهِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) [\(٣\)](#) [\(٤\)](#)

- ١- سوره الأعراف، الآيه: ٧٥ ٧٨ .
- ٢- سوره الكهف، الآيه: ٥٠ .
- ٣- سوره آل عمران، الآيه: ٨٥ .
- ٤- الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٣٧ . بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٥، الباب ١١. دلائل الإمام محمد بن جرير الطبرى الإمامى: حديث فدك ص ١١٦ .

المآل الثالث: سنه تعجيل العذاب

هذه السنّة التاريخيّة ترتبط مع سنه مضاعفه التّنّاج ارتباطاً كبيراً؛ إذ يجرّ هذا التّنّاج في مضاعفه النّتائج إلى حلول الدّمار ونزول العذاب بصورة متناسبة فيما بين هاتين الستين كثرة الثلوج، كلما كبرت تسارعه وتضاعفت معها الأضرار.

تقول عليها السلام:

«فدونكموها فاحتقبوها دبره الظّهر، نقّبه الخف، باقيه العار، موسومه بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصوله بـ:

((نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدُهُ (٦) الَّتِي تَطَّلُعُ عَلَى الْأَفْئِدَهِ))^(١).

فبعين الله ما تفعلون.

((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيْ مُنْقَلِبٍ يُتَّقَلِّبُونَ))^(٢).

وأنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا متظرون»^(٣).

ففي الوقت الذي تأخذ فيه السنّة التاريخيّة استحقاقها من المجتمعات البشريّة سواء أكانت نتائج الأفعال إيجابيّة أم سلبيّة؛ فإن من توابع هذه السنّة أن يتضرر المظلوم ما يحل بالظالم من خاتمه لحياته.

كما أن صاحب الحق يكون مطمئناً بما ستؤول إليه عاقبته أمره، ولذا فهو في شوق وترقب لبلوغ نتائج السنّة.

١- سورة الهمزة، الآية: ٧٦.

٢- سورة الشعرا، الآية: ٢٢٧.

٣- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٤١.

المسئلة الرابعة: سنه انقلاب الأمم بعد أنبيائها

من السنن التاريخية التي وقعت في الأمم السابقة هي سنه انقلاب الناس بعد غياب أنبيائها أو موتهم؛ ويظهر أن هذه السنة التاريخية كانت قد وقعت في بنى إسرائيل قبل موت موسى عليه السلام مما يكشف عن حجم هذه الفتنة وأثر هذه السنة.

ويبدو أن الحكم في تذكير النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتاريخ بنى إسرائيل وما وقع فيهم من السنن الإلهية كان لأجل أن يحذر أمته من السير على نهج بنى إسرائيل؛ إلا أن الأمر الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتحقق له.

ولذلك نجد أن هذه الأمة قد حذرت حذو بنى إسرائيل في انقلابها على أعقابها، غير أن الفارق بين الأمتين أن أمه بنى إسرائيل انقلب في حياة نبئها موسى عليه السلام، وأن هذه الأمة انقلبت بعد موت نبئها صلى الله عليه وآله وسلم والفارق أيضاً: أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم ماذا سيجري بعده أثناء غيابه وذهابه لميقات ربه، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم بما سيؤول إليه أمته من بعده؛ ولطالما صرخ بذلك.

أما عدم علم موسى عليه السلام فقد أظهره القرآن.

قال تعالى:

((وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّنَا مِنَ السَّامِرِيِّ)) [\(١\)](#).

١- سورة طه، الآيه: ٨٣-٨٥.

وأما علم النبي المصطفى بحال قومه من بعده فقد صرخ به القرآن الكريم في قوله تعالى:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ فَيْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ))[\(١\)](#).

وأظهرته السنة، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنكم تحشرون حفاه عراة».

إلى أن يقول :

وأناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال!! فأقول أصحابي أصحابي، فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم....»[\(٢\)](#).

وروى مسلم في صحيحه، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أنا فرطكم على الحوض ولأنمازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك»[\(٣\)](#).

١- سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

٢- صحيح البخاري: ج ٤، ص ١١٠. مسنـد أـحمد بن حـنـبل: ج ٦، ص ٥٣. المستدرـك للحاـكم الـنيـسابـوري: ج ٢، ص ٤٤٧.

٣- صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ج ٧، ص ٦٨. مسنـد أـحمد بن حـنـبل: ج ١، ص ٣٨٤. كنز العمال للمتقى الهنـدي: ج ١٤، ص ٤١٨، المـبعث والـحـشر، الحـوض.

وفي لفظ آخر أخرجه أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعديك.

قال فأقول:

سحقا سحقا لمن بدل بعدي»^(١).

أما بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد كشفت الأمر على حقيقته القرآنية والواقعية، لأنها عاشت هذه اللحظات التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجرت فيها هذه السنة التاريخية، فقالت عليها السلام وقد خصت الأنصار في خطابها فتوجهت إليهم قائلة:

«يا معاشر النقيب^(٢) وأعضاد الملة وحضنه الإسلام، ما هذه الغمiza^(٣) في حقى والسنن^(٤) عن ظلامتى؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي يقول (المرء يحفظ في ولده)^(٥)؟».

وهنا:

تجمع الزهراء عليها السلام بين حركة التاريخ لمسار الأنصار في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وحركة التاريخ لمسارهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

- ١- مسند أحمد بن حنبل: ج ٥، ص ٣٣٣. صحيح البخاري، كتاب الفتنة: ج ٨، ص ٨٧ الإيضاح لفضل بن شاذان الأزدي: ص ٢٢٣. إمتناع الأسماع للمقرئي: ج ١٤، ص ٢٢٣.
- ٢- النقيب: الفتية.
- ٣- الغمiza: بفتح الغين المعجمة الزاي ضعفه في العمل.
- ٤- السنن: النوم الخفيف.
- ٥- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٩. الانتصار للعاملي: ج ٧، ص ٣٧٣.

ثم تطلق من هذا البيان إلى تحرك السنن التاريخية في أمه أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول:

«سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهاله^(١) ولكم طاقه بما أحاول، وقوه على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فخطب جليل: استوسع ونه^(٢) واستنهر^(٣) فتقه وانتفق رتقه، وظلمت الأرض لغيبته، وكشفت الشمس والقمر، وانتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال^(٤)، وخشع الجبال، وأضيع الحرير، وأزيلت الحرم عن مماته، فتلوك والله النازل الكبري، والمصيبة العظمى، لا- مثلها نازل، ولا- بائقه^(٥) عاجله، أعلن بها كتاب الله جل ثاؤه، في أفنيتكم، وفي ممساكم، ومصيحكم، يهتف في أفنيتكم هتافا، وصرخا، وتلاوه، وألحانا، ولقبه ماحل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم:

((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبُتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقِلِبْ عَلَى عَقِبِيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجِزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)) (٦) (٧).

١- إهاله: بكسر الهمزة: الدسم، وسرعان ذا إهاله: مثل يضرب لمن يخبر بكينونه الشيء قبل وقته.

٢- ونه الوهن: الخرق.

٣- واستنهر: اتسع.

٤- أكدت: قل خيرها.

٥- بائقه: داهيه.

٦- سوره آل عمران، الآيه: ١٤٤.

٧- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٩ ١٤٠. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٧. أعيان الشيعة لسيد محسن الأمين: ج ١، ص ٣١٧.

المسئلة الخامسة: سنه ظلم آل الأنبياء عليهم السلام وآثارها على الأمم

إن جميع السنن الكونية التي سنها الله تعالى ولا سيما السنن التاريخية تكون مصحوبة بمجموعه من الآثار حال وقوعها، وقد نجد أن بعض هذه السنن لها قابلية الدفع بآثارها إلى أزمنه متعاقبه، بل يظهر أن بعض السنن لها ديمومه هائله في المحافظة على آثارها ما دامت هناك حياء على الأرض، أي أن هذه الآثار باقيه ببقاء الليل والنهار، ومستمرة باستمرار البشرية، وهذا يكشف عن عظم هذه السنن التاريخية الإلهيه وخطوره الواقع فيها.

ومن أبرز هذا النوع من السنن، هي سنه ظلم آل الأنبياء عليهم السلام.

ويختلف نوع الظلم النازل بأنبياء الله تعالى حسب الظروف التي ينشأ فيها الظلم والأفراد والزمان والمكان، إلا أن من أكبر ما يقع على الأنبياء من الظلم هو ما يصيب أبناءهم، لما وضعه الله تعالى من عاطفه خاصه وعلاقه حميمه بين الآباء والأبناء.

وحيثما يستعرض القرآن أنواع الأذى الذي أصاب الأنبياء عليهم السلام وما تبعه من آثار على الأمم نجد أنه يقدم ثلاثة أنواع من الأذى، وهي (الأذى العقائدي، والأذى الجسدي، والأذى النفسي).

فالنوع الأول انحصر في تكذيبهم والاستهزاء بهم واتهامهم بالجنون.

وفي النوع الثاني انحصر الأذى في التعرض إلى أجساد الأنبياء عليهم السلام من الضرب والجوع والقتل.

وفي النوع الثالث انحصر الأذى في التعرض لآل الأنبياء وأرحامهم ومن آمن بهم.

أما آثار النوع الأول من الأذى فقد أظهره القرآن في قوله تعالى:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكَنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَهُ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ)) [\(١\)](#).

وهم قوم هود عليه السلام. وفي قوم شعيب عليه السلام وهم أصحاب الأئكة قال { }:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَهِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)) [\(٢\)](#).

وفي قوم مدین حينما كذبوا شعيب عليه السلام قال تعالى:

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخْذَهُمُ الرَّجْفَهُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)) [\(٣\)](#).

ويلاحظ في هذه الآية وغيرها التي تبين السنن التاريخية الإلهية في الأمم السابقة أن هذا البلاء حينما يقع على الأمم يكون في حياة الأنبياء عليهم السلام فيبيد الله تعالى هذه الأمم الظالمه وينجى أنبياءه عليهم السلام ثم يرسلهم الله تعالى إلى أمه أخرى وقوم آخرين كما تحدثت الآيات عن شعيب عليه السلام أو خروج لوط من قريته أو انتقال إبراهيم عليه السلام من العراق إلى بيت المقدس ثم إلى مكه وهكذا.

وفي صوره النوع الثاني من الأذى، وهو الأذى الجسدي وما يتبعه من آثار على الأمة فقد أظهره القرآن في قوله تعالى:

((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا نَقِفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحْبَلٌ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِعَصَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمُسْيَكَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْنَدُونَ)) [\(٤\)](#).

١- سورة الشعرا، الآية: ١٣٩.

٢- سورة الشعرا، الآية: ١٨٩.

٣- سورة العنكبوت، الآية: ٣٧.

٤- سورة آل عمران، الآية: ١١٢.

وفي صوره النوع الثالث من الأذى الذي ينزل بالأنبياء عليهم السلام وما يتبعه من آثار، قال تعالى:

((فِيمَا نَفْضَهُمْ مِّيشَافُهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بِلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا)) [\(١\)](#)

فهذه السنة التاريخية وما ارتبط بها من آثار تفاوتت في حجمها وسعتها ودومتها وقوه تأثيرها؛ قد جرت في هذه الأمة الإسلامية بعد وفاه نبيها صلى الله عليه وآلـه وسلم بصورها الثلاث.

إلا أن الفارق بين الأمم السابقة وهذه الأمة يكمن في الأمور الآتية:

١- أن نبى هذه الأمة صلى الله عليه وآلـه وسلم وجوده يرفع العذاب عن الخلق، أى ما دام حيا فإن العذاب لا ينزل بأمته وإن كذبوا ورضخوه بالحجارة وأدموه وجوعوه وهجروه وآدوا أهل بيته وقتلوا رحمه كمحزه بن عبد المطلب وما قامت به هند زوجه أبي سفيان من التمثيل بجسده، وقتل جعفر بن أبي طالب وعيده بن الحارث بن عبد المطلب، ناهيك عن الأذى البالغ الذي كان ينزله المنافقون برسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم وأمور أخرى كثيرة يطول ذكرها.

إذن: وجوده صلى الله عليه وآلـه وسلم بين أمته كان يرفع عنهم العذاب.

قال تعالى:

((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِذَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)) [\(٢\)](#).

١- سورة النساء، الآية: ١٥٥ ١٥٥.

٢- سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

٢ لكونه الرحمة التي أرسلها الله للعالمين، وجود الرحمة يرفع العذاب وإن وقع الأذى عليه صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى:

((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ))[\(١\)](#).

٣ لكونه صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع على قومه على الرغم من إيدائهم له، وكان يقول بأبي وأمي :

«اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»[\(٢\)](#).

لكن الأمر بعد موته اختلف كلياً، فقد رفعت تلك السنن والقوانين الإلهية التي جعل الله قيامها وحركتها بوجوده صلى الله عليه وآله وسلم، أي: تحرّك السنن التاريخية التي جرت في الأمم السابقة فيما قدموه على ظلم الأنبياء عليهم السلام وتغلغل آثار هذه السنن ونفوذها في حال وقوعها.

وهو الأمر الذي أظهرته بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما توجهت بخطابها إلى الأنصار خاصه، فقالت عليها السلام

:

أيها بنى قيله! أاهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني وسمعي، ومبتدأ ومجمع؟ تلبسكم الدعوه، وتشملكم الخبره، وأنتم ذوي العدد والعده، والأداه والقوه، وعندكم السلاح والجنه، توافقكم الدعوه فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخه فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكافح، معروفون

١- سورة الأنبياء، الآيه: ١٠٧.

٢- العقد النضيد والدر الفريد لمحمد بن الحسن القمي: ص ٥١، ح ٣٧. تاريخ مدینه دمشق لابن عساکر: ج ٦٢، ص ٢٤٧، برقم ٧٩٣٢. الدر المتنور لجلال الدين السيوطي: ج ٣، ص ٩٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢١، ص ١١٩، ح ١٧. ذكر أخبار إصبهان للحافظ الإصبهاني: ح ٢، ص ١٤٩.

بالخير والصلاح، والنجبة التي انتجبت، والخيرة التي اختيرت، قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهيم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغره الشرك، وسكنت فوره الإفك، وخدمت نيران الكفر، وهدأت دعوه الهرج، واستوسم نظام الدين، فأنني حررتكم بعد البيان، وأسررتكم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الأقدام، وأشركتم بعد الإيمان.

((أَلَّا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بِيَدِهِمْ كُمْ أَوَّلَ مَرَّةً أَتَخْشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَنَّ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))^(١).

ألا وقد أرى أن قد أخلدتكم إلى الخفاض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتكم بالدعوه، ونجوتكم من الضيق بالسعه، فمجتمعكم ما وعيتم، ودستعتم الذي تسوغتم، ف:

((وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ))^(٢)_(٣).

ويظهر هنا في كلامها عليها السلام: تقديم الحركة التاريخية لمسير الأنصار في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد مماته مع وقوع السنن التاريخية، ولاسيما سنن ظلم الأنبياء عليهم السلام في أنفسهم ممثلاً بذلك في آل الأنبياء عليهم السلام؛ وبخاصة أنها ابنته الوحيدة

١- سورة التوبه، الآية: ١٣.

٢- سورة إبراهيم، الآية: ٨.

٣- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٤٠. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٨.

التي خصها بخصائص عديدة تكشف عن مدى قربها من شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فهي قلبه وروحه التي بين جنبيه مع اختصاصها بموصول الأذى والغضب والرضا بشخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كما دلت عليه النصوص المتضافرة، والمشهوره عند المسلمين.

ومع علمهم بما خصها الله تعالى من الكرامه والارتباط برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يترتب على إيزاء رسول الله من آثار خاصه تتناسب مع مقامه وكرامته عند الله تعالى، إلا أن ذلك لم يكن بحائل ولا مانع لهم من إيزانها عليها السلام، ليناولوا بذلك ما اقترن بهذه السنن التاريخية من آثار خاصه كشفتها لهم الزهراء عليها السلام فقالت:

«ألا وقد قلت ما قلت على معرفه مني بالخزلة^(١) التي خامر تكم^(٢)، والغدره التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضه النفس، ونفثه الغيط، وخور^(٣) القنا^(٤)، وبشه الصدر، وتقديمه الحجه.

فدونكموها فاحتقبوها^(٥) ذبره^(٦) الظهر، نقبه الخف^(٧)، باقيه العار، موسومه بغضب الله وشnar الأبد، موصوله بـ:

- ١- الخزلة: ترك النصر.
- ٢- خامر تكم: خالطتكم.
- ٣- الخور: الضعف.
- ٤- القنا: الرمح؛ والمراد هنا من ضعف القنا، ضعف النفس عن الصبر على الشده.
- ٥- فاحتقبوها: فاحملوها على ظهوركم.
- ٦- ذبره: ذبر البعير، أصابته الذبره بالتحريك وهى جراحه تحدث من الرجل.
- ٧- نقبه الخف: نقب خف البعير رق وثقب.

((نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدُهُ (٦) الَّتِي تَطَلُّ عَلَى الْأَفْئِدَهِ)) [\(١\)](#).

فبعين الله ما تفعلون.

((وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يُنَقِّلُونَ)) [\(٢\)](#) [\(٣\)](#).

المسئلة السادسة: سنه رين القلوب بين الأسباب والنتائج

من السنن التاريخية التي عرضها القرآن مجملًا ومفصلاً هي سنه رين القلوب، فمن حيث المجمل يذكر القرآن الأسباب التي تؤدي إلى تكون هذه السنة وآثارها ممثلاً بذلك بالنتائج.

قال تعالى:

((وَإِلَّا يَوْمَ يَرَى الْمُكَذِّبُينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدِّ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُنَزَّلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) [\(٤\)](#).

وذكرها القرآن مفصلاً في سير حديثه لنتائج تكذيب الأنبياء عليهم السلام ويظهر من العرض المجمل والمفصل لهذه السنة التاريخية أن الأساس في تكونها هو التكذيب بما جاءت به الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم فيتحقق التكذيب باليوم

١- سورة الهمزة، الآية: ٧٦.

٢- سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

٣- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٤١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٩. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٥٠.

٤- سورة المطففين، الآية: ١٤١٠.

الآخر، ليصل إلى ذروته في حجب الأذن عن كل موعظه أو إنذار أو تحذير أو آيه أو معجزه فيكون عند ذلك الرين على القلوب أى حجتها وصدأها وموتها عند ذلك فلا حياء لها.

وإذا ما وصلت القلوب إلى تلك المرحله تمادت في الظلم وظهر منها ما لم يظهر من أشد الوحش قساوه وشراسه والعياذ بالله.

ولذلك تتوجه صلوات الله وسلامه عليها في بيانها لهذه السنن التاريخية وما يعقبها من نتائج إلى عامه الناس من المهاجرين والأنصار والأعراب، لأن الأمر لم يتعلق بفنه محدوده بل بقانون إلهي وسنن ربانيه جرت في جميع الأمم السابقة، وقد وقعت في هذه الأمة.

فقالت عليها وعلى أيها وعلى بعلها ولدتها الصلاه والسلام:

«معاشر المسلمين المسرعه إلى قيل الباطل المغضيه على الفعل القبيح الخاسر.

((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبِ أَفْفَالِهَا)) [\(١\)](#).

كلا- بل ران على قلوبكم ما أساءتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقلات وغبه وبلاط إذا كشف لكم الغطاء، وبيان بأورائه الصراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحسبون، وخسر هنالك المبطلون» [\(٢\)](#).

١- سورة محمد، الآيه: ٢٤.

٢- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٤٤.

المسئلة السابعة: سنه الاستقامه في السلوك

في الوقت الذي كانت فيه فاطمه الزهراء عليها السلام تحدى المسلمين من الوقوع في فم السنن التاريخيه التي توجدها السلوكيات المنحرفة فتقذف بها في الهاویه والخسران المبين، كانت عليها السلام أيضاً تذكر بالسنن التاريخيه التي تكون ولدہ السلوكيات المستقيمه والمنضبطة بضوابط الشريعة المقدسه، وما شمره من نتائج خيره تعود على الإنسان بالسرور والخير والبركه في الدنيا والآخره.

قالت عليها السلام:

«وما الذي نعموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نعموا والله منه نكير سيفه، وقله مبالاته لحتفه، وشده وطأته، ونكال^(١) وقعته، وتنمره^(٢) في ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحججه الایحه، وزالوا عن قبول الحجه الواضحه، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيراً سجحاً^(٣)، لا يكلم^(٤) حشاشه، ولا يكل^(٥) سائره، ولا يمل راكبه، ولا أوردهم منها نمير^(٦)، صافياً، روياً، تطفح صفتاه ولا يتربق جانباه ولا أصدرهم بطاناً، ونصح لهم سراً وإعلاناً، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى

١- النکال: ما نکلت به غير ک کائننا ما کان.

٢- تنمر: عبس وغضب.

٣- سجحاً: سهلاً.

٤- يكلم، کلمه: جرحه.

٥- يکل: يتعب.

٦- النمير: الأبيض.

منها بنائل [\(١\)](#)، غير رى الناھل، وشبعه الكافل، ولبان لهم: الزاھد من الراغب والصادق من الكاذب.

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْفُرْقَىٰ آمَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَّ كَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخْذَنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) [\(٢\)](#). ((وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هُؤُلَاءِ سَيِّصُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ)) [\(٣\)](#)) [\(٤\)](#).

وقد حددت عليها السلام آثار هذه السنة التاريخية، أى سنہ الاستقامه بالعوايد التالية:

١ الرد إلى الشريعة السمحاء، أى دفع الوقع في الشبهات.

٢ حمل الأحكام الشرعية فيكون الناس فقهاء عرفاء بشرعيتهم فلا وجود للجهل بينهم، أى رفع المستوى التعليمي عند هذه الأمة لتكون كما أراد الله لها خير أمه أخرجت للناس، ولكن تستطيع أن تمارس دورها الإرشادي للأمم. قال تعالى:

((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)).

٣ سهولة السير في متطلبات الحياة سواء الدنيوية أو الأخروية. وهو قوله «ولسار بهم سيراً سجحا».

٤- النائل: مثل الذي يudo وعليه حمل ينهض به، أى لم يكن يتحمل من الدنيا بحمل.

٥- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

٦- سورة الزمر، الآية: ٥١.

٧- الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٤٧ - ١٤٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٤٣، ص ١٦٠.

٤ طبيعة هذا السير وصفاته ثلاثة.

ألف . عذوبه الحديث.

باء . لا يتعب السائر من سيره.

جيم . ولا يمل الراكب من ركبته.

٥ المكان الذى سيصلون إليه فى هذا السير الذى يسيرون به مع على عليه السلام سياخذهم من خلاله إلى مكان يتصنف بصفات عده، وقد شبهته عليها السلام بالنهر الجارى دلاله على العيش الرغيد ومن صفاتة:

أ. العذوبه.

ب. الصفاء.

ج. يروى من العطش.

د. الكثرة.

ه. تطفح ضفتاه.

و. لا يتجمع الطين على جوانبه.

ز. وأن الشارب من هذا الماء يصدر عنه، أى ينتقل عنه وهو ريان.

٦ إن هذه السنة التاريخية ومما تقدمه من ثمار وفوائد، مشروطه بأن يكون القائد أو الحاكم ناصحاً لرعايته في السر والعلن.

ثم تنعطف عليها السلام إلى ثمار اتباع قول النبي صلى الله عليه وآلها وسلم في التمسك بوصيه؛ فلتذكر لهم صفات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه إماماً وحاكماً وراعياً لهم كما مرّ.

المسألة الثامنة: سنه ترك التمسك بأحكام الله { بين المقدمات والنتائج

حينما بنت الزهراء عليها السلام سنه الاستقامه فى السلوكيات البشرية ونتائجها الإيجابيه على الإنسان فى الدارين، تنتقل عليها السلام بعد ذلك لبيان العكس أى سنه ترك الاستقامه والتمسك بأحكام الله تعالى، وتُظهر أيضا مقدمات هذه السنه التاريخيه ونتائجها على مصر المجتمع الذى تجرى فيه.

قالت عليها السلام:

«ليت شعري إلى أى أسناد استندوا؟! وإلى أى عmad اعتمدوا؟! وبأيه عروه تمسكوا؟! وعلى أى ذريه أقدموا واحتلوكا»^(١) ليس المولى ولبس العشير، وبئس للظالمين بدلًا»^(٢).

حينما سارت هذه الأمة سير الأمم السابقه ووافت فى فم السنن التاريخيه التى مر ذكرها فكانت النتائج مضاعفه، والآثار مستمرة فمن البديهي أنها ستسير نحو الهلاك والتدمار فى الظلم والضلال.

ولذلك: كانت تعجب من هذا السلوك المتغير بعد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل تضع المقدمات لما هو أسوأ آثارا من جميع السنن التاريخيه الأخرى. فتقول عليها السلام:

«استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكافر، فرغما لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

١- احتلوكوا: استولوا عليهم، انظر: الصلاح للجوهرى: ج ٤، ص ١٥٨.

٢- الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٤٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ٤٣، ص ١٦٠. صحيفه الزهراء عليها السلام، جماعة الشيخ جواد القيومى: ص ٢٥٤.

((أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ)) [\(١\)](#). ويحهم.

((أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْنَ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهَدَّى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)) [\(٢\)](#)[\(٣\)](#).

أما النتائج المفجعة والفادحة لسلوك الأمة هذه السنة التاريخية، فتظهرها لهم بضعه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فنقول عليها السلام:

«أما لعمري لقد لقحت فنظره ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دما عبيطاً وذعاها ميداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون، غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً، وأطمنثوا للفتنه جأشاً، وأبشروا بسيف صارم وسطوه معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيداً، وجمعكم حصيداً، فيا حسره لكم، وأنى بكم، وقد عميت عليكم، ألتزمكموها وأنتم لها كارهون» [\(٤\)](#).

هذا الكم الكبير من المفاهيم والرؤى والتشخيص لحركه التاريخ وستنه الذي ورد في القرآن ومن العترة النبوية الطاهره عليهم السلام أعطى دفعا قويا لمن تتلمذ في هذه المدرسه على التخصص في هذا الفن والإحاطه به.

١- سورة البقره، الآيه: ١٢ .

٢- سورة يونس، الآيه: ٣٥ .

٣- معاني الأخبار للشيخ الصدوق رحمه الله: باب معانى قول فاطمه عليها السلام، ص ٣٥٥. دلائل الإمام لمحمد بن جرير الطبرى الإمامى: ص ١٢٧. أمالى الطوسي: ص ٣٧٥. الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٤٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ٤٣، ص ١٥٨ .

٤- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج ٤٣، ص ١٦٠. الاحتجاج للطبرسى: ج ١، ص ١٤٨ .

بل قد شكل هذا التشخيص والدراسه لحر كه التاريخ والسنن التاريخيه من قبل القرآن والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام وبضعيه النبي فاطمه الزهراء عليها السلام بخلق حاله تمييزه من الوعي التاريخي والنقد والفهم والدراسه الدقيقه والمتائيه لما حدث وما يرتبط في كينونته من الزمان والمكان والأفراد والرواوه والدوافع والأسباب والنتائج.

نتيجه البحث

يمكن أن نجمل نتيجه البحث في النقاط الآتية:

١. حر كه التاريخ وسنته عند المسلمين قد اكتسبت مادتها ومعانيها ودلالاتها من القرآن والعترة عليهم السلام.
٢. ان عرض القرآن الكريم للواقع التاريخي للأمميه كان يراد به بناء هذه الأمة وسلامه سيرها من الواقع في فتح تلك السنن التي فتك بال الأمم السابقة فلم يبق منها سوى الاطلال وأعمده بناء متعربيه تحيطها أكواخ من الحجارة المتناثره، أما نتاجها العلمي فهو منوط بأفراد استفادوا من تاريخ أسلافهم فاتعظوا به فلزموا أخيرهم ونبذوا فجارهم.
٣. إن هذه الأمة لم تتعظ بتلك السنن التاريخيه للأمم السالفة ولم تلتفت إلى تحذيرات نبيها صلى الله عليه وآله وسلم ولم تلتزم بمناهي قرآنها فاتبعت سنن من كان قبلها حذو النعل بالنعل؛ بل لقد أحدثوا سنناً جديده لم تصل إليها عقول الأمم السابقة فظهرت فيها نتائج خلفت تلك المقدمات السننـيه فكانت آثارها جسيمه وردودها متعاظمه.
٤. ان حر كه التاريخ وسنته عند أمير المؤمنين عليه السلام اتسمت بالإحاطه التامه

بتلك السنن وبيان العامل المشترك في وقوعها وتشخيص نتائجها وتوضيح غرض ذكرها وتذكير الناس بها.

٥. ان حركة التاريخ عند سيد النساء فاطمة عليها السلام امتازت عن القرآن في تحديد نقطه بدء الحركة التاريخية لتلازم الزمن في ديمومه التاريخ. قبل تشخيصها للسنن الأممية، لكونها من توابع الحركة التاريخية.

٦. تفردها عليها السلام في بيان حركة تاريخ النبوة وتلازم هذا البيان مع مكون القرآن مع إظهار العلة في جعل الخليفة قبل الخليقة.

٧. بيانها لإنجازات حركة تاريخ النبوة الكونية وشهادتها النبي الأعظم على الأمم السابقة.

٨. تشخيصها لمعالم حركة تاريخ العرب قبل الإسلام مع اتساع عين التاريخ على خصوصيات الأمم العربية وأنماط حياتها الاجتماعية وتحديد سلوكيات أفرادها.

٩. بيان إنجازات الحركة التاريخية لسير النبوة وإظهار معاناتها وتحديد قابليات الناس واستعداداتهم الذهنية والروحية للتعاطي مع النبوة والاعتقاد بها.

١٠. تحديدها لوجود مسارين للحركة التاريخية في حياة النبي الأعظم وتعاظم هذين المسارين بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

١١. ان السنن التاريخية عند سيد النساء انحصر بيانها فيما يخص هذه الأمة وان هذه الأمة هي أسرع الأمم وقوعاً في فتح السنن التاريخية.

١٢. ابتداء وقوع السنن التاريخية في هذه الأمة قبل ان يدفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

مع تشخيصها لبدور الفتنة والتي تعد أول مقدمات السنن التاريخية التي أهلكت الأمم السابقة.

١٣. إن بيان السنن التاريخية عند سيده النساء لم ينحصر في عرض السنن التي أهلكت الأمم السابقة بل عرضت وبيّنت السنن التاريخية التي تحبي الأمم وتحفظها وتدر عليها الخير والأمن والرخاء.

١٤. إن هذه الأمة لو لزمت ما أمرها الله تعالى ورسوله به لأكلت من خير السماء والأرض ولسادت الدنيا وأصلحتها لكنها لم تلزم عهد الله كما فعل بنو إسرائيل حينما نقضوا إيمانهم وما عاهدوا الله عليه. قال تعالى:

((يَا يَنِى إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِى الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاى فَازْهَبُونَ))^(١).

وفي أهل مكة يقول القرآن:

((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرْىَ آمَنُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))^(٢).

فهذا ما خاطبت به سيده نساء العالمين عليها السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين لتحذرهم من السير على نهج الأمم السابقة.

فهل من نذير؟!

١- سورة البقرة، الآية: ٤٠.

٢- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الرمز: ٩

المقدمة:

تأسيس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائين والمثقفين في الجامعات والحوارات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى توفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحثية البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهاتف والحواسيب واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازيت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المتراطبة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحث للمصادر والمعلومات

اللتزام بذكر المصادر والماخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملازم والدوريات
إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكانية الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنت بعنوان : www.ghaemyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الاطلاق والدعم العلمي لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والرد عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث kiosk، ويب كيوسك Bluetooth، الرسالة القصيرة (SMS)
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج في البحث والدراسة وتطبيقاتها في أنواع من الlaptop والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقديم مجاناً في الموقع بثلاث اللغات منها العربية والإنجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب في طهران ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ - ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ شؤون المستخدمين



www



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiye.com

www.Ghaemiye.net

www.Ghaemiye.org

www.Ghaemiye.ir

وللأيضا من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩